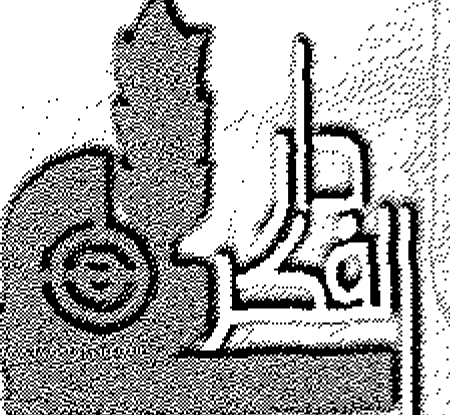
سلسلة الخيال العلمي

١٩

الأصابع السحرية

د. طالب عمران



طالب عمران

- من مواليد دمشق ١٩٤٨
- دكتوراه في المنطويات التفاضلية والفلك من جامعة عليكرة الإسلامية بالهند.
- أستاذ في كلية الهندسة المدنية بجامعة دمشق
- عضو جمعية تاريخ العلوم عند العرب، ومركز الدراسات الفلكية (جامعة دمشق)، واتحاد الكتاب العرب، واتحاد الصحفيين العرب.

له:

- العالم من حولنا
- كوكب الأحلام
- العابرون خلف الشمس
- صوت من القاع
- نافذة على كوكب الحياة
- سلسلة روايات الخيال العلمي (دار الفكر)

منحة 2006

SIDA

السويد



الأصابع السحرية

الأصابع السحرية/ طالب عمران.- دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٤.- ١٥٢ص؛ ٢٠سم.
(روايات من الخيال العلمي؛١٩).

١-٨١٣,٠٨٨ ع م ر أ ٢-العنوان
٣-عمران ٤-السلسلة

مكتبة الأسد

روايات

من الخيال العلمي

(١٩)

الدكتور

طالب عمران

الأصابع السحرية



الرقم الاصطلاحي للسلسلة: ٣٠٤٢,١٩
الرقم الاصطلاحي للحلقة: ١٧١٩,٠٣١
لرقم الدولي للسلسلة: ISBN: 1-57547-412-3
الرقم الدولي للحلقة: ISBN: 1-59239-199-0
الرقم الموضوعي: ٨٥٠
الموضوع: القصة والرواية
السلسلة: روايات الخيال العلمي
العنوان: الأصابع السحرية
التأليف: د. طالب عمران
الصف التصويري: دار الفكر – دمشق
التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية – دمشق
عدد الصفحات: ١٥٢ صفحة
قياس الصفحة: ١٤ × ٢٠سم
عدد النسخ: ١٥٠٠ نسخة



دار الفكر بدمشق

برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
ص.ب: (٩٦٢) دمشق-سورية
فاكس: ٢٢٣٩٧١٦
هاتف: ٢٢٣٩٧١٧ – ٢٢١١١٦٦
http://www.fikr.com/
e-mail: info@fikr.com

الطبعة الأولى

رجب ١٤٢٥هـ
آب (أغسطس) ٢٠٠٤م

المحتوى

الموضوع	الصفحة
* كهف الظلمات	٧
* بيضة الديناصور	٣٥
* الأصابع السحرية	٦١
* المدينة الغامضة	١٠٩

كهف الظلمات

لا شك أن وجودنا في البيئة التي نعيش فيها محفوف بالمخاطر من كل جانب فعدا عن عدم العناية بدقة بمتطلبات الجسم من الغذاء، إذ نتناول أغلب الأحيان وجبات مريحة سريعة.. فإننا أيضاً لا نقوم بالتمارين الرياضية الكافية.. وأحياناً يبالغ بعضهم بتناول اللحوم والدهون لدرجة الخطر أحياناً، دون حركة كافية لحرق هذه الشحوم المتراكمة، كما أن الوسط الذي نستنشق فيه الهواء، وسط غير نقي..

إضافة إلى أننا معرضون لضغوطات يومية في العمل والتعامل مع الناس بحذر، على اختلاف طبائعهم، إضافة إلى ضغوطات المنزل والقلق حول المستقبل، سواء بالنسبة إلى الشخص أو لأولاده ولأحفاده.. عدا عن القلق المالي الذي يعيشه صاحب الدخل المحدود، والمعاناة التي يعانيها الإنسان في عالم بدأ يسحقه بالتدريج..

إن كل الضغوطات عندما تتكاثر على المرء، قد تؤدي لمجتمع مريض، كما يؤكد علماء النفس، ورغم المحاولات للحد من هذه الضغوطات، والتخفيف من أخطارها بوساطة رياضيات نفسية خاصة، أبرزها التأمل الباطني، فإن الإنسان اليومي يعيش مرحلة عصابية مخيفة في تاريخه البشري..

قد ينجح الواعي بالدخول في التأمل الباطني لحل مشاكله النفسية، ولكن هذا التأمل قد لا يكون ناجعاً في حالات العزلة الدائمة عن الأحباب والأقرباء، وربما العزلة التي يجد فيها الإنسان نفسه مجبراً على تجنب المجتمع برمته..

عزلة قد تدفعه أحياناً للجنون، فالإنسان كائن اجتماعي لا يمكنه أن يعيش وحده مهما كانت الظروف.

في السنوات الأخيرة ظهر بعض الأثرياء الجدد الذين كوّنوا ثروات سريعة خلال أزمنة قصيرة، وازداد الإقبال على شراء الشقق السكنية والسيارات والمزارع..

وشهدت البلاد نشاطاً في هذا الاتجاه، وحين توفي والد عادل في أواخر الثمانينات، وجدت والدته أنه لا بد من إخباره بالوضع الصعب الذي يعيشونه، وقد كثر الدائنون الذين قدموا أوراقاً موقعة من أبي عادل بأرقام ديونهم..

كان عادل في السنة الرابعة من كلية الهندسة المدنية - جامعة حلب، وقد وجد نفسه فجأة مسؤولاً عن أسرة كبيرة خلفها والده الموظف القديم، تكونت من أمه وأربع أخوات وثلاثة أخوة..

كان المرحوم أبو عادل يحاول الهرب من الزمن، بالاستدانة، وإيفاء الديون، بالتدريج ثم الاستدانة من جديد، وقد عرض أرضه للبيع، ولكن أم عادل وقفت أمامه بقوة، مانعة إياه من إتمام عقد البيع أكثر من مرة..

وبالطبع لم يكن أمام عادل من حل لتسديد ديون والده بعد وفاته، سوى أن يعرض الأرض للبيع رغم احتجاجات أمه غير المجدية..

وحاول تجار الأراضي خداعه بالسعر، ولكنه كان يقظاً، فلقد كانت أرضاً من عشرة (دونمات) أي عشرة آلاف متر مربع، تقع على الطريق العام الذي يصل بين مجموعة قرى وبلدته الساحلية..

وتمكن عادل من فرض السعر الذي يريده، نظراً لموقع الأرض المتميز ولكونها تحوي أشجاراً للزيتون، كانت مشهورة بحمولتها أيام المواسم..

- وماذا ستفعل يا عادل بعد أن سددت جميع ديون والدك؟

- لم يبق سوى القليل من المال أقل من ربع ثمن الأرض، قد يكفينا في مصاريف البيت حتى أتخرج وأتوظف..

- إنها مغامرة صعبة يا بني..

- ماذا تقصدين يا أماه؟

- أن ننتظرك حتى تتخرج دون مورد رزق آخر..

- وما هو الحل؟ ليس لدينا من المال ما يكفي للقيام بأي مشروع مهما كان صغيراً

- لماذا لا تبحث عن أرض منعزلة بعيدة، يكفي المبلغ الذي لدينا لشرائها.. الأرض تعطي ما دمنا نعرق في زراعتها..

- أمعقول أن يكفي ما لدينا من مال لشراء أرض أخرى ولو كانت بعيدة؟

- جرب يا بني.. أرجوك.. هذا أفضل من الانتظار حتى تتخرج ونحن نصرف هذا المال لنعيش على ذلك الأمل..

- كما تشائين يا أمي.. سأبحث في هذا الأمر، قد أعثر على تلك الأرض.. من يدري..

وفي مكتب أحد السماسرة:

- ما معك يا أستاذ عادل لا يكفي لشراء دونم واحد من الأراضي البعيدة عن الطريق، التي تعتقد أنها بخسة الثمن..

- حاول أن تسأل المزارعين، قد يبيع أحدهم قطعة من الأرض، ربما كان بحاجة إلى المال

- لا بأس يا أستاذ عادل، سأسأل، وإن كنت متأكداً أن المال الذي تحمله أقل من اللازم بكثير.. وأتى حمدان لزيارة عمته ليحدثها عن أرض جديدة رخيصة الثمن:

- متأكد يا عمتي..

- عشرة دونمات بهذا السعر، لماذا؟ هل هي أرض صخرية، أم أرض وعرة غير صالحة للزراعة؟

- لا هذا ولا ذاك، القصة وما فيها أنهم يعدّونها أرضاً ملعونة..

- أرض ملعونة، ماذا تقصد يا حمدان؟

- أرض يسكنها الجن، وتنطلق منها الصرخات والضجة المخيفة..

- ما هذا الكلام الغريب؟

- هكذا يقولون، وإن كنت أعتقد أن بعض الأحداث الدامية وقعت زمن الاحتلال الفرنسي، في تلك الأرض، وخاصة أنها تطل على مجموعة من الأحراج والكهوف والمغاور.. لذلك سموها بذلك الاسم..

- ثمنها بخس يا حمدان، معقول؟

- لا بد أن هناك أسباباً لتخفيض سعرها إلى هذا الحد..

- قالت أم عادل:

- رجود الجن والعفاريت.. أم إنها تحتضن رفات بعض القتلى.. أم إن جرائم حدثت بسببها؟

أريد أن أراها..

- تريدين رؤيتها يا عمتي؟ أنت وعادل؟

- لا.. سأراها وحدي.. دبر الأمر يا حمدان.. وبسرعة..

- سأتكلم مع (أبي نعيم) صاحبها غداً.. لا بأس يا عمتي، يمكننا الذهاب إليها بعد غد.

همهمت الأم: - على بركة الله يا بني..

☆ ☆ ☆

- قاتل الله أولاد الحرام، هم الذين أذاعوا عنها أنها ملعونة، وأن الجن والشياطين يمنعون زراعتها..

- منذ متى لم تزرعوها يا أبا نعيم؟

- منذ زمن بعيد، أواخر الأربعينات أو أوائل الخمسينات.. لدينا مساحات أخرى يا أم عادل في مناطق أخرى نزرعها كلها، إلا هذه الأرض..

(أصوات تأوهات بعيدة + ضحكات)

- أتسمعين يا خالتي؟

- نعم.. نعم

- وهي أرض خصبة، لا ينقصها شيء

- ما هذا الذي نسمعه يا أبا نعيم؟

كان فعلاً أصوات تأوهات بعيدة مختلطة بضحكات

قال أبو نعيم: - ماذا؟ لا أسمع شيئاً

- أنا متأكدة أنني سمعت شيئاً أشبه بالأنين ثم تلا ذلك قهقهة غريبة..

قال حمدان: - وأنا سمعت ذلك يا عمتي.. ربما كانوا من سكان العالم الخفي..

اعترض أبو نعيم: - وكل الله يا رجل.. لقد توهمتما ذلك، لكثرة ما وضع الناس من حكايات غريبة في رأسيكما.. أنا متأكد من ذلك.. أصيخا السمع الآن؟ هه.. أتسمعان شيئاً؟

- لا.. ولكني متأكدة أنني سمعت تلك الأصوات..

- قلت لك هذا من الوهم.. والدعاية، والقصص الغريبة التي ملأها الناس عن هذه الأرض المسكينة..

- اسمع يا أبا نعيم

- نعم.. يا أم عادل؟

- سأشتري هذه الأرض.. وليكن ما يكون..

- نعم القرار

- عمتي ؟ قد لا يرضى عادل

- اسكت يا حمدان لن يرفض عادل قراري هذا.. إنه ولدي وأنا أعرفه جيداً..

- ألست خائفة؟

- لا.. سأستعين بالله وأدفع ثمنها.. ولو حاربت ملوك الجان جميعاً

- بارك الله فيك.. هل نقرأ الفاتحة إذن؟

- نعم

وهكذا تمت عملية البيع..

- ولكن يا أمي كان يجب أن أذهب معك لمعاينة الأرض..

- هذا ما حدث يا بني.. سيأتي أبو نعيم اليوم لاستلام ثمن الأرض..

- عشرة دونمات معقول؟ نفس مساحة أرضنا التي بعناها.. ولكن لماذا يبيعها أبو نعيم بهذا السعر؟ صحيح أنه يملك أراضيَ كثيرة بمساحات شاسعة، ولكنه لا يحتاج المال كما أعرف، إنه ثري، اشترى أيام عزه معظم أراضي الإقطاعيين في المنطقة..

- للأرض قصة، وأنا متأكدة أنها قصة مبالغ فيها..

- ما هي، حدثيني أرجوك يا أمي..

- حسناً

حكت له القصة فتنهد وهو يقول:

- قصة غريبة..

- وغير قابلة للتصديق، آه يا عادل، إنها أرض خصبة، رغم أنها منعزلة قليلاً، ولكنها لم تزرع منذ نحو (٤٠) عاماً كما أكد أبو نعيم.. (٤٠) عاماً؟ غريب

- سنذهب إلى المديرية العقارية لتسجيلها، وندفع الرسوم، ثم تبدأ بحراثتها وزراعتها..

- سأبذل ما في وسعي يا أماه، وأحاول أن أوفق بين الجامعة والعمل في الأرض ما أستطيع، وإن كان ذلك في غاية الصعوبة..

وهكذا دفع عادل ثمن الأرض وسجلها باسم أمه في الدوائر العقارية، وقد تجول فيها مع حمدان وشعر بميل غريب، وقد التقط قبضة ترابها يشمه بشغف.. تربة بكر، لم ينثر فيها البذار منذ زمن بعيد..

واستعان بحمدان (ابن خاله) في حراثة الأرض.. حيث شق جرار الحراثة التربة يقلبها، بعد سنوات طويلة تمهيداً لنثر القمح بعد أسابيع.. وفي أحد الأيام، وكان الشابان يزرعان شتلات من الأشجار المثمرة في مناطق معينة من الأرض.

- أتسمع يا حمدان؟

- نعم

- إنه شخص يتأوه..

- ألم تسمع الضحكات أيضاً..

- نعم.. ربما كان مخبولاً يتجول في المنطقة

- ربما.. هل أنت خائف؟

- ماذا تقول؟ وكل الله يا رجل..

سمعا صوت فتاة تصرخ مقربة

- ها هي صفاء قادمة.. لقد أحضرت لنا الطعام..

- الحمد لله أشعر بجوع حقيقي..

- أحضرت لكما الطعام.. حتى لا تتعب نفسك يا عادل بالذهاب إلى بيتنا.. أوصتني بك عمتي أم عادل

- لا بأس.. شكراً لك يا صفاء..

- فور وصولي من المدرسة، لم تتركني أمي أتناول شيئاً، هيا يا ابنتي أوصلي الطعام لأخيك حمدان وابن عمتك عادل.. لا بد أنهما جائعان..

- كلي معنا.. خذي

- لا.. لا داعي..

- بضع لقيمات فقط هنا

قال حمدان:

- إنها جائعة يا عادل، لن تترك لنا شيئاً..

- أيها الخبيث.. هه.. لن آكل شيئاً؟

- لا داعي يا حمدان لمزاحك.. خذي يا صفاء..

- شكراً لك..

- وصلهم أصوات آهات بعيدة

- ما هذا؟ ثمة شخص يتألم..

- معك حق.. حين ننتهي من طعامنا سأقوم بجولة أنا وحمدان، نبحث عن مصدر الصوت..

- سأذهب بصحبتكما

- لا بأس.. ناولني زجاجة الماء يا حمدان..

- تفضل

وبحث عادل وحمدان عن مصدر الصوت.. ورافقتهما صفاء، ولم يتكرر الصوت مرة أخرى.. رغم أن حمدان أطلق صوته يغني.. ويطلب من الذي يتأوه، إعلامه عن مكانه..

بذل الشابان أقصى ما بوسعيهما، وهما يبحثان في الأحراج القريبة والطريق المطل على الوادي المليء بالكهوف والمغاور، دون نتيجة.. لم يجدا شيئاً، ولم يتكرر الصوت من جديد..

- أتعتقد أن الأرض مسكونة هنا يا عادل؟

- وكل الله يا رجل.. أنت مثقف ومنطقي بآرائك؟ ماذا تقول؟

- لماذا تتهامسان؟

- لا شيء، حمدان يمزح كعادته..

- لقد أتعبتماني في هذه الجولة.. سأعود إلى البيت.. أترافقني يا حمدان؟

- عادل يحتاج إلى مساعدتي أيضاً.. سأبقى معه ساعة أخرى.. هه أخائفة من العودة وحدك إلى القرية؟

- لا.. على السفح القريب ينتشر المزارعون في كل مكان

- إلا في هذه المنطقة، لا نرى أحداً نستأنس به

- هه.. أتريدان شيئاً؟

- لا.. شكراً لك يا صفاء..

- ألن تمر ببيتنا في طريق عودتك إلى المدينة؟

- بالتأكيد سيمر، لا تقلقي يا أختي..

- آه منك ومن سخريتك يا حمدان؟

همس عادل معاتباً: «أأخجلتها؟ لا داعي لهذه السخرية»

- آسف.. مع السلامة يا أختي..

- صفاء فتاة رائعة يا حمدان، أنت تقسو عليها أحياناً..

- لأنني أحبها كثيراً.. وأعتقد أن من سيتزوجها سيكون سعيد الحظ.. إنها تميل إليك

- ليتني في وضع مستقر يا حمدان.. كنت تقدمت لخطبتها فعلاً

- آه.. أنت تحبها إذن؟

- ابنة خالي، جميلة ومثقفة، وما المانع؟

- ما شاء الله، ولا تراعي وجودي أيضاً؟ أنا أخوها أيها الشاب؟

- أعرف.. وأنت ابن خالي أيضاً..

- أتمنى لكما السعادة.. لا تقلق ستحل هذه الأرض كل مشاكلك المالية بإذن الله

- لن يكون الأمر سهلاً يا حمدان..

واعتاد عادل على سماع الضحكات والآهات الغريبة.. ولم يعد يخاف لدى سماعها..

وكذلك كان حمدان الذي يعاونه أحياناً..

وكانت أم عادل تسأله يومياً عن الأصوات الغريبة، وهل هناك قوى غامضة تضايقه وهو يعمل في الأرض، وكان ينفي ذلك بشكل قاطع لدرجة أن الأم اطمأنت إلى سير الأمور بشكل طبيعي.

وفي أحد الأيام.. وكان المطر قد بدأ بالهطول، وقد استعد عادل لبذار الأرض بالقمح والشعير والذرة.. ولجأ عادل يحتمي بإحدى الأشجار الضخمة دائمة الخضرة، كان وحيداً وسط ذلك

الجو الضبابي، والوقت لم يبلغ الظهيرة بعد..

- ماذا أفعل؟ المطر يزداد غزارة.. صوت الأنين يتردد من جديد؟ ثم صوت قهقهة أيضاً.. الجو يوحي بالكآبة، ماذا أفعل الآن؟

سمع صوت حمدان:

- عادل.. عادل.. أحضرت لك مظلة..

- الحمد لله، أنا بحاجة إلى مظلة فعلاً

- أتسمع يا عادل؟

- نعم.. منذ زمن وأنا أسمع هذه التأوهات، تتلوها قهقهات غريبة

- ليست متقطعة، يفصل بينها زمن طويل؟

- لا.. إنها تتكرر كثيراً الآن

- اسمع يا عادل، أحضرت معي بندقية مع مظلة احتياطية، ما رأيك لو نتمشى محاولين تتبع أثر الصوت..

- ماذا تقصد؟ ألست مقتنعاً أنها أصوات من العالم الآخر؟

- لا.. يجب أن نحل اللغز، ما رأيك؟

- هه تبدو واثقاً من نفسك.. تحل اللغز؟ منذ نحو (٤٠) عاماً واللغز يهدد الناس هنا، أتعتقد أنك تستطيع حله بهذه السهولة؟

- ولم لا يا عادل؟ قلبي يحدثني أنني في سبيل كشف شيء خارق اليوم.. حلمت أمس حلماً عجيباً، كأن يداً تمتد نحوي تستصرخني لأنقذ صاحبها الذي يتعلق بغصن شجرة تطل على هاوية سحيقة..

- وماذا فعلت؟

- أنقذته والحلم يعني أنني سأقدم عملاً خيراً لمن يسألني

كانت أصوات قصف الرعد قد بدأت تهدر مع المطر الغزير

- حسناً، هيا إذن، وحاول ألا تسلك طريقاً عبر خطوط الفلاحة، قد تغوص أقدامنا في الطين.

بدأ الرعد أيضاً، إنه طقس مخيف

- هيا يا عادل

- إنها تصدر عن هذه الجهة

- ما أشد إثارة تداخل صوت الرعد مع أصوات الضحكات الغريبة..

- أشعر بالخوف يا حمدان..

- لأنك لم تصبح فلاحاً بعد يابن عمتي..

- إنها تصدر من هناك.. انظر، السفح المنحدر يمتد هنا، ثم يميل بزاوية خطرة نحو الوادي العميق.

- إنها ليست بعيدة كثيراً من هناك؟ من هناك؟ من هناك؟

سمعا صوتاً أجشَّ: - أنا هنا.. هنا

- إنه صوت رجل يا حمدان، معقول؟

- أن يكون رجلاً حكمت عليه الظروف أن يحبس هناك.. معقول؟ معقول يا عادل؟

- وماذا سنفعل؟

فإذا الصوت يبكي مع صراخ: - أنا هنا.. أنا هنا

- هل تحتفظ بالغرفة الصغيرة بحبل.. أريد حبلاً

- قل الصندوق الصغير، وليس الغرفة الصغيرة.. لو كان لدي غرفة صغيرة لاحتميت فيها من المطر

- حسناً.. حسناً، كما تشاء.. أيوجد لديك حبل؟

- أتنوي أن نهبط إلى تحت وتفتش بنفسك؟

- نعم.. وستكون البندقية معي لا تقلق..

- لا يا حمدان، أنا خائف عليك.. أجلها حتى الغد..

- ومن يدري ما يُخبئه القدر حتى الغد لهذا المخلوق التعس..

- إذن أنت متأكد أنه بشري..

- بالطبع يا سيادة المهندس الذي لا يؤمن بالخرافات..

- لا.. لا أقصد ذلك.. ربما كان

قال حمدان مقاطعاً:

- ربما كان ماذا؟ أرجوك يا عادل أحضر الحبل وهيا ننقذ الرجل

- طيب.. طيب.. لا تغضب

ورغم المطر الهاطل بغزارة، ربط حمدان الحبل إلى جذع شجرة زيتون قوية، ولف مقدمة الحبل حول نفسه وربطه جيداً ثم بدأ يهبط شيئاً فشيئاً والبندقية بيده..

كان الصوت يزداد وضوحاً، وعلى عمق نحو (٥٠) متراً، رأى فوهة كهف أشبه بسرداب كان الصوت ينطلق منها..

- يا من يسمعني، جئت لإنقاذك.. أرني وجهك

صرخ الصوت بهيستريا: - لإنقاذي.. لا.. لا.. لا أصدق..

رأى حمدان هيكلاً لرجل طويل اللحية والشعر الأبيض.. كان منظراً لا يصدق.. كان الرجل يصرخ:

- خذني معك.. أرجوك.. كنت سأموت.. ساعدني ساعدني

- حسناً يا عم حاول أن تخرج من فوهة الكهف

- لا أستطيع يا بني.. لا أستطيع.. أنا شبه مشلول

- حسناً، سأحضر نجدة وأعود

- لا.. لا.. لا تتركني أرجوك

- لا تخف يا عم.. لن أتأخر..

عاد حمدان يتسلق الحبل صوب عادل:

- ماذا رأيت يا حمدان؟ ما بك؟

- أمر لا يصدق يا عادل، إنه إنسان، كائن حي، شكله مرعب، كأنه مر بمأساة مخيفة، يعيش في كهف ضيق ولا يستطيع الحركة.

- ماذا تقول؟

- آه يا إلهي، منظره البائس يثير الشفقة والحزن حتى في أقسى الناس..

- وماذا يجب أن نفعل؟

- لديك حبل آخر؟

- يمكن ولكنه ليس حبلاً متيناً

- سأرى ذلك، تعال معي.. هيا، يجب ألا نضيع الوقت..

وربط حمدان الحبل الثاني بالشجرة، وهبط بحبله حتى أصبح أمام مدخل الكهف، اقترب من الرجل وقد كادت أن تخنقه الرائحة الكريهة المنبعثة من الكهف، وحين سلط مصباحه داخل الكهف المتطاول كالسرداب رأى منظراً مرعباً..

كومة من بقايا الحيوانات، والجلود والريش والنباتات المتيبسة وفضلات مكدسة تكاد تسد الكهف من الداخل.. والرجل الغريب الضعيف يمد يديه مستنجداً بحمدان لينقذه..

رغم حالة الغثيان التي انتابته، تقدم حمدان من الرجل الذي أمسك به بيدين أنشب أصابعهما كالكلابات حول كتف حمدان، الذي تمكن من إبعاده عنه بصعوبة ليربطه بالحبل في وسطه..

ورغم الإحساس المرعب الذي سيطر عليه.. شده إلى الخارج بقوة، وقد بدا جسمه متجذراً في الأرض وبصعوبة تمكن من سحبه وقد ظهر كأنه مثقل بالطين والأوساخ..

وصرخ حمدان بأعلى صوته إلى عادل أن يبدأ بشد الحبل إليه ليرفع الرجل الغريب البائس.. وبدأا يشدان الحبل ليسحبا الرجل الغريب من الكهف المائل.

- كأن جسمه يعلق بحافة السفح

- سأساعدك هيا نسحب

- هدئ نفسك يا عادل، منظره لا يبعث على الراحة.. إنه منظر مرعب، سيثير غثيانك..

- لا بأس، سأحتاط من هذا الأمر..

- هه.. أمتار قليلة ويصبح بيننا.. (كمن يبذلان جهداً)

كان يبكي: «يا إله السماوات، ها أنذا أحيا من جديد»

- رائحته كريهة، تثير القرف

- لا يعرف أحد كم له من الزمن في هذا الكهف.. لا تقلق يا عم، أنت الآن في أمان

كان يتأوه: - لا أصدق.. لا أصدق.. منذ زمن طويل.. طويل أنتظر هذه المعجزة، أمعقول أن أحيا ثانية.

- وماذا سنفعل الآن؟

- أحضر تلك البطانية العتيقة التي كنت تستخدمها أحياناً حين تتمدد تحت الشجرة، سنلفه بها، بعد أن ننظفه من التراب ثم ننقله إلى القرية..

- إلى القرية؟ إنه بحاجة لمشفى يا حمدان..

- أعرف، سنطلع المختار على حكايته، لينقله بعدها بالسيارة إلى المدينة

- لماذا لا تنقله، أقصد جرار الحراثة

- لا.. بالسيارة أفضل وأسرع.. هيا أحضر البطانية..

وجد الأطباء أن الرجل الغريب، يعاني جملة من الأمراض، فهناك تعفن في الجهاز الهضمي.. وضمور في العضلات، وتقرح بالجلد.. كما أن قدميه متورمتان ويابستان لا يشعر بأي إحساس فيهما.. كأنهما بلا أعصاب.. أما عقله فلم يكن متوازناً تماماً، وقد أرجع الخبراء أن سوء حالته يعود للفترة الطويلة التي قضاها في الكهف، والتي لا يعرف أحد عن مدتها الحقيقية..

كان عادل وحمدان يترددان عليه باستمرار، يحاولان أن يعيدا إليه صفاء ذهنه الذي تشوش من المعاناة بالعزلة والوحشة الطويلة..

– حالته تتحسن يا دكتورة..

– بالطبع، بسبب الأدوية والمقويات والتغذية الجيدة..

– ولكنه ما زال يرى الكوابيس في الليل

– أمر طبيعي لمن هم في مثل حالته

– أتعتقدين أن ذاكرته ستعود إليه؟

– من يعلم؟ أعانه الله على حياته المقبلة.. قد تكون أشد وحشة من عزلته الإجبارية تلك..

– يبدو أنك يائسة تماماً يا دكتورة..

– انظري إلى عينيه الحائرتين تتنقلان بلا تركيز بين الوجوه المحيطة به.. والسقف العالي

– هه يا دكتورة صباح، كيف حال صاحبنا اليوم؟

– هل نشرتم عنه خبراً في الصحف..

– نعم.. إلى جانب صورته، وسيأتي أحد المصورين في التلفاز إلى هنا، من أجل حوار شامل عنه

– قد يساعده ذلك.. من يدري؟ إنه يبتسم لك

– لقد عرفني.. أتعلمين لقد رفع ظهوره سعر أرض عمتي إلى عشرة أضعاف، كانوا يسمعون بكاءه وضحكاته فيعتقدونها مسكونة.. أما الآن فحل اللغز..

وكثر زوار الرجل الغريب، من فضوليين وباحثين عن قريب ضائع لهم:

- أهذا هو الرجل؟ صحيح أن قدميه كانتا مغروستين في الأرض كالجذور؟

- لا يبدو وجهه مألوفاً لي، إنه يختلف عن الصورة المنشورة

- اعتقدته أخي الضائع..

- من فضلكم لا تزعجوا الرجل، يبدو أنهم أتوا جميعاً بعد نشر الإعلان..

- لم تجيبيني يا دكتورة، قدماه كانتا مغروستين في الأرض..

- لا أعرف صدقني..

- أيمكنني أن أراهما؟ تبدوان متورمتين

- اعتقدته أحد أقربائي المفقودين أيضاً..

- آه.. ربما كان أخي الضائع نفسه، وقد تغيرت سحنته.. لا.. لا.. لا أعتقد أخي كان أسمر اللون، وهذا يبدو شديد البياض..

تدخل حمدان راجياً إبعادهم: - لقد أرعبوه يا دكتورة

- من فضلكم ابتعدوا عنه.. حالته ليست على ما يرام

- ذاك هو يا أمي..

همست صفاء: - منظره مثير للحزن

- نعم.. أعانه الله، في أي جحيم كان يعيش طوال تلك الفترة..

لم يطق الرجل الضجة فانفجر صائحاً:

- عودي بي إلى هناك، عودوا بي إلى هناك.. آه.. أنا خائف، نظراتكم وأنفاسكم الحارة تكاد تقتلني.. ابتعدوا عني..

وكثرت التقولات حول الرجل الذي ما زالت ذاكرته مفقودة.. منهم من قال: إنه سقط بالمصادفة إلى سطح الهاوية..

ومنهم من قال: إنه هرب إلى ذلك المكان مختفياً، من جريمة ارتكبها وخاف من عقابها.. ومع الزمن ازدادت الحكايات خيالاً.. دون أن يتوقف حمدان وعادل عن زيارته.. وقد ظل في المستشفى حتى كان ذلك.

- حكت لي الممرضة أنه كان يحاكي نفسه في الليل.. كان يصرخ (ستموت يا آغا ستموت) ثم صحا مرعوباً..

- قال كلمة (آغا) غريب؟ ربما أدت هذه الكلمة لكشف السر..

- ربما كان هو قاتل عثمان آغا الذي كان يملك الأراضي المحيطة بقريتنا والقرى المجاورة.. حكت لي أمي أنها كانت صغيرة حين شهدت جنازة الآغا وقد قيل يومها: إن أحد خدمه هو الذي طعنه وهرب..

- قد نصل إلى نتيجة لو عرفنا اسم ذلك الخادم..

- أعتقد أن أمي كانت تسميه بفارس..

قال حمدان بصوت عال:

- فارس يا فارس.. عظيم لقد قتلت عثمان آغا..

انكمش بخوف:

- لا.. لا.. لم أفعل شيئاً..

- يبدو أنك نجحت في إثارته قد يكون هو فعلاً الشخص المطلوب..

☆ ☆ ☆

لقد نجحت المصادفة في معرفة ذلك العجوز الذي كان فعلاً قاتل عثمان آغا، وقد رآه يعتدي على أخته، ويبدو أنه أخفى نفسه في ذلك الكهف الذي لا يعرف عنه شيئاً.. وظل حبيساً فيه.. خائفاً أن يقبضوا عليه ويقتلوه إذا ظهر..

ومع الزمن اقتات بالحشرات والحيوانات الصغيرة والطيور التي تسعى لبناء أعشاشها وضعفت حركته وازداد توحشاً مع الزمن..

وفارس الآن ما زال ساهم النظرات يقبع في إحدى دور العجزة، وقد انتشرت قصته في المنطقة، ولم يتوقف عادل وحمدان عن زيارته، رغم أن عادل قد تزوج من صفاء ورزقا بصبيين، كان فارس يعني له نهاية أسطورة خرافية عن أرض مسكونة بالجان والعفاريت..



بيضة الديناصور

كان عليه أن يستجمع شجاعته ويغوص من جديد، ليفحص تلك الصخرة الكبيرة العجيبة، سألته لينا حين رأته يستعد للغوص مرة أخرى..

- لماذا ترغب بالغطس بهذه السرعة؟ ولم تسترح جيداً؟.. لماذا يا عارف؟

- أريد أن أتحقق من أمر يا لينا.. على عمق ثلاثين متراً من هنا صخرة هائلة مدورة بشكل بيضوي تبدو ملساء من الخارج تماماً..

- قد يشكل ذلك خطراً عليك، ما رأيك لو ارتديت لباس الغطس وشاركتك في البحث عن الصخرة تلك..؟

- لا داعي لذلك، لا أحياء هائلة خطرة هنا.. تعلمين أن تلوث البحار أهلك كميات هائلة من حيوانات البحر..؟

- حسناً، ولكن لا تتأخر، أرجوك.. هزّ الحبل حين ترغب بالصعود لأسحبك..

- سأفعل.. قذف نفسه إلى الخلف وغطس إلى الأعماق..

- ترى ما سر تلك الصخرة التي شدت اهتمام عارف إلى هذا الحد؟ هذا ما كانت تفكر فيه لينا وهي تتأمل سطح البحر من على طرف الزورق..

كان الدكتور عارف أحد أهم الباحثين في علم الحياة في مركز البحوث البحرية العربي الذي اتخذ من المرافئ العربية قنوات رسمية له..

وكانت لينا زوجته باحثة مجتهدة في اختصاصه نفسه، درست الدكتوراه تحت إشرافه، ثم تزوجا بعد قصة حب أثارت الكثير من اللغط، وخاصة أن (عارفاً) قد وهب حياته للعلم والبحث العلمي رافضاً عروض الزواج التي اقترحها عليه زملاؤه. مصراً على الالتزام بالعلم بعيداً عن المسؤولية والأسرة والأبناء فيما بعد..

ولكن لطافة لينا وذكاءها الحاد لفتا انتباهه، ولم يشعر بنفسه إلا وهو غريق بحبها، وبادلته هي الشعور نفسه بصمت، وأفسحت المجال ليبوح لها بحبه وبرغبته في الزواج منها حين

دافعت عن بحثها المقدم لنيل الدكتوراه تحت إشرافه، وحصلت على امتياز مع مرتبة الشرف..

وهكذا تزوجا وعاشا سعيدين وشاركته أبحاثه البحرية التي بدأها في الإسكندرية وطرابلس ولبنان ثم استقر في طرطوس، وقد بهرته آثارها المذهلة، وامتلاء شاطئها بالصخور الرسوبية.. كانت لينا في ذلك الوقت من أواخر القرن العشرين تشعر بأعراض (الوحام) ولم تخبر عارفاً بالأمر، وقد رأته مندمجاً ببحوثه واكتشافاته البحرية، وهو يحوم حول تلك الصخرة البيضوية هائلة الحجم..

كان عارف قد غطس للمرة الثانية ودار حول الصخرة، يتلمس سطحها المصقول وهو يفكر مذهولاً كأنه اكتشف شيئاً خارقاً للعادة.. شد الحبل المدلى قليلاً لتبدأ لينا سحبه إلى السطح بالجهاز.. وحين أصبح في الزورق سألته:

- لم تستغرق وقتاً طويلاً هذه المرة. هل اكتشفت السر..؟

- شيء لا يصدق يا لينا.

- ماذا؟ أقلقتني..

- قال وهو يزفر.. لو صدق حدسي فأنا في سبيلي للإعلان عن أهم اكتشاف علمي في هذا القرن

- اكتشاف علمي؟ أي نوع من الاكتشافات يمكن أن يكون مدفوناً في أعماق البحر؟

- بيضة هائلة الحجم لحيوان زاحف على الأغلب..

- بيضة تحت الماء؟

- وعلى الأغلب، فهي بيضة لنوع من الديناصورات.. على كل حال، يجب أن أتأكد من ذلك..

- وماذا ستفعل؟ كيف سنخرجها من هنا دون أن تتأذى؟

- قشرتها سميكة لا خوف عليها.. صمدت كل هذه السنين أمام التغيرات الطبيعية من حولها من زلازل وحركة تيارات وتغيرات في ملوحة المياه ولم تتأذ، ستكون قوية بما فيه الكفاية (يتنهد) سأقابل مدير مركز الأبحاث البحرية هنا وأطلب منه العون..

- أتعتقد يا عارف أنها ما زالت قادرة على الحياة؟

- والله لا أدري يا لينا.. أعطني اللاسلكي. سأطلب موعداً من مدير مركز الأبحاث.

☆ ☆ ☆

وأخذ الدكتور عارف موعداً من مدير المركز بعد نصف ساعة من وصوله إلى الشاطئ بصحبة زوجته، كانت لينا تشعر بالتعب، وقد حاولت التجلد والصبر حتى لا تضيع على زوجها متعته بالكشف الجديد، فينشغل بها.. ورغم محاولاته ألا تلفت انتباهه، فقد لحظ محاولاتها لكبت الآلام التي تعتريها، فركّز الزورق إلى أحد أركان المرفأ، وانطلق يساعدها في الوصول إلى السيارة..

- يجب أن أنقلك للمشفى، أنت تتألمين فعلاً..

- إنها آلام طبيعية يا عارف صدقني..

- آلام طبيعية، كيف أنت تضعين يدك على بطنك، ربما كانت آلام الزائدة أو المرارة أو شيء آخر..

- لا.. يا عارف.. إنها أعراض الوحام..

- ماذا تقولين؟ وحام؟

- نعم.. منذ عدة أيام وهي تعاودني وقد خفت أن أعطلك عن أبحاثك، فقررت تأجيل عرض الأمر عليك لولا أن فاجأتني الآلام قبل قليل. أشعر بدوار.. سيزول سريعاً.

- أنا سعيد جداً بهذا الخبر، يبدو أن الله سبحانه وتعالى قد

أعطاني اليوم أكثر مما أستحق.. مني عمري أن أرى بيتنا مزروعاً بالأطفال..

- إنها البداية يا حبيبي

- هيا سأنقلك إلى البيت، ثم أذهب لمقابلة مدير المركز.

- قد تتأخر عليه؟

- لا لن أتأخر.. بيتنا قريب من المركز.. ستنتظرينني في البيت، لن أتأخر كثيراً..

استقبله مدير المركز بحفاوة:

- تفضل.. تفضل يا دكتور عارف

- تأخرت دقيقتين.. أنا آسف..

- لا بأس.. احك لي قصة اكتشافك.. لقد أذهلتني..

- لو كان ما أخمنه صحيحاً، وأعتقد أن تخميني في محله سيكون كشفاً مذهلاً..

- ماذا؟ شوقتني؟ أريد أن أعرف التفاصيل عن تلك البيضة الهائلة الحجم..

وشرح له الدكتور عارف الاكتشاف المذهل فأطرق الرجل للحظات ثم رفع رأسه

- إذن تعتقد أنها بيضة ديناصور نظراً لمواصفاتها الشبيهة ببيض تلك الحيوانات هائلة الحجم؟ معك حق يجب أن نخرجها بحرص شديد..

وهكذا بدأ مدير المركز يجري اتصالاته لاستخراج البيضة الغريبة..

- سأرسل لكم الدكتور عارفاً، ستتلقون منه الأوامر وتنفذونها بالحرف..

- سنفعل يا سيدي..

وطلب مدير المركز من المهندس حسن خبير الرافعات أن يجهز الرافعة البحرية..

سأله مدير المركز:

- هل سنضع وسائل الإعلام في دائرة هذا الحدث الكبير أم تفضل أن تبقيه سراً؟

قال عارف من الأفضل ألا يعلن عنه الآن حتى ندرس البيضة ونتأكد منها.. ربما كانت بيضة متحجرة فعلاً..

- كما تشاء.. إنه خيارك.. أتمنى لك التوفيق..

وتعرف الدكتور عارف بالمهندس حسن رئيس قسم الآليات

في مركز البحوث، ووضعه في صورة الاكتشاف الكبير.. وبدأت الاستعدادات لرفع البيضة من الأعماق..

وطلبت لينا زوجة عارف أن ترافقه في عملية نقل البيضة إلى مركز البحوث، فلم يمانع وهكذا بدأت عملية انتشال البيضة هائلة الحجم..

أشرف حسن على العملية بدقة..

- انتبهوا جيداً يجب ربطها بعناية قبل رفعها..

- لن ننتهي قبل ساعة من لفها بالحبال.. إنها ضخمة جداً..

- أعرف ذلك، خذوا الوقت الذي تريدون، المهم أن تخرج سليمة تماماً..

- لا تقلق يا أستاذ حسن..

سأل عارف هل جهزتم المكان المناسب؟

- نعم يا دكتور عارف سنضعها في المستودع فوق كمية كبيرة من الإسفنج..

- هذا أفضل.. فوجودها خارج المياه يجعل ثقلها أشد تأثيراً..

سألت لينا وأين سيضعونها في المركز؟

- اقترح الدكتور عارف أن نضعها في الصالة الكبيرة قرب مزرعة حيوانات التجارب ربما احتاجت إلى درجة حرارة معينة..

- إنه مكان ملائم..

- وضعنا في أرضه القش وفتات الإسفنج أيضاً..

- المهم أن تدرسوها جيداً وتحددوا عمرها، وإلى أية فصيلة من فصائل الزواحف الضخمة تنتمي؟

- سنتفرغ لهذا الموضوع..

☆ ☆ ☆

- أستاذ حسن.. إنها مربوطة بعناية الآن..

- هل نبدأ برفعها..

- نعم.. وبهدوء شديد.. أما زال رفاقكم تحت الماء؟

- نعم يا أستاذ حسن.. ربما احتجنا إلى مساعدتهم..

- شغلوا آلة الرفع إذن؟ بسرعة بطيئة.. يجب أن نوصلها بسلام إلى المركز..

قال عارف بقلق:

- الحبال تشتد.. والرافعة تئن. يبدو أن البيضة ثقيلة جداً.. قد لا تستطيع الرافعة سحبها؟

- إنها أقوى الروافع عندنا.. لديها قدرة على رفع مئات الأطنان دون صعوبة..

- بدأت ترتفع، إنها تتحرك نحو الأعلى..

- الرجال يحيطون بها من كل الجهات.. وظهرت فوق سطح المياه:

- إنها ضخمة جداً يا دكتور عارف.. حركوا الرافعة بزاوية ملائمة لتوجيهها للمستودع

- حاضر يا سيدي

فكرت لينا: إنها بيضة هائلة الحجم.. أمعقول أن تحوي خلية حية بداخلها؟

وتم نقل البيضة إلى الصالة الكبيرة قرب مزرعة حيوانات التجارب وأغلقت الصالة جيداً وبدأ فريق من الباحثين في علم الحياة يدرسونها بوساطة أجهزتهم الدقيقة..

وتأكد الدكتور عارف أنها بيضة حية لحيوان زاحف ضخم من نوع (هولوسورس) وقدر عمرها بنحو (٧٠) مليون عام..

أما كيف حافظت على نفسها خلال هذه الفترة فهذا أمر مستغرب.. فهي على أعماق ليست سحيقة ولا تبعد كثيراً عن الشاطئ.. وقرر مدير المركز بعد دراسة التقارير المقدمة عن البيضة العجيبة، الإعلان عن اكتشافها، وكلف الدكتور عارفاً بعقد مؤتمر صحفي، يتحدث فيه عن قصة الاكتشاف والتمّ الصحفيون بمختلف وسائل إعلامهم:

- أتعتقد يا دكتور عارف أن الديناصورات كانت تعيش على هذا الشاطئ هنا؟

- ربما، فقد تغيرت الخارطة الجيولوجية للمنطقة خلال ملايين السنين.. وليس ما يمنع من إمكانية تكاثرها هنا..

- أهي بيضة حية فعلاً؟

- نعم.. في داخلها بياض وصفار كما دلت الصور، وهي بحالة طبيعية..

- هل ستجرون عليها تجارب معينة؟

- لماذا؟ ما دمنا عيّنّا نوعها وفصيلتها..

- لماذا لا تخضعونها لتجربة (حضن اصطناعي) ربما فقست..

- لا شك أن هذه الإمكانية في تفقيس البيضة وخروج حيوان

زاحف منها ربما كانت مستحيلة لأنها بيضة قديمة، ربما مات فيها عنصر الإنتاش..

- ما فائدتها إذن؟

- اكتشافها بهذه الصورة يعتبر شديد الأهمية، فمن خلالها قد نحكم على سلالة أو صنف من الزواحف القديمة، حيث نضع صورة قريبة من الواقع عن الأحقاب الجيولوجية القديمة وصحتها بالحياة.. إنه اكتشاف مهم للإنسان يا آنسة، ويهم تاريخ الحياة أيضاً..

- دكتور عارف ألا يوجد أمل، ولو ضئيل في خروج كائن منها؟

- هل ستعرضونها على اللجان العلمية الدولية لمساعدتكم في دراستها بشمولية تامة؟

- وما الذي يمنع؟ نحن نرغب في تعاون علمي دولي في هذا الموضوع..

ختم مدير المركز المؤتمر الصحفي:

- أعتقد أن الاستفسارات قد انتهت يا دكتور عارف.. يمكننا إذن إنهاء المؤتمر الصحفي والتفرغ للعمل من أجل توضيح صورة

هذه البيضة العجيبة.. شكراً لكم أيها السادة والسيدات وسنوزع عليكم صوراً عن البيضة، وإذا حدث جديد في عملية البحوث التي تجري عليها سنعلمكم، همس مدير المركز بعد ذهاب الصحفيين:

- أعتقد أنه كان مؤتمراً ناجحاً يا دكتور عارف..
- ربما كان ناجحاً. ولكن بدأ يقلقني أمر ما..
- خير؟ ما هو هذا الأمر؟
- قد يتسلل بعض المخربين إليها ويكسرها..

همهم مدير المركز بقلق: - معك حق..

☆ ☆ ☆

ولكن أمراً غير متوقع حدث في ذلك النهار.. فلقد انفجر جهاز التكييف في الصالة لسبب مجهول، وازدادت الحرارة حول البيضة مما استدعى إرسال خبراء الصيانة سريعاً لإصلاح الجهاز.. وقد استغرق ذلك نحو ست ساعات. في وهج تموز الحار، والشمس لم تنحدر نحو حافة الأفق الغربي بعد.. وهذا ما أقلق الدكتور عارفاً.. إذ خاف أن يفسد ما بداخلها، ومر الوقت بطيئاً سريعاً، وعارف ومن معه من الدارسين ينتشرون حول البيضة يرشونها بالماء البارد حتى عاد المكيف إلى عمله..

تنهد الجميع بارتياح وخرجوا من الصالة يحتاجون إلى بعض الوقت، ويتدارسون الوضع والتطورات المحتملة عليه.. وقد أكد الدكتور عارف لهم أن كل شيء سيكون على ما يرام.. وهكذا انصرفوا إلى بيوتهم مطمئنين على الوضع..

عاد عارف إلى المنزل متأخراً:

- أنا آسف لم أتصل بك، كان الوضع معقداً عندنا في المركز..

- أعرف.. انفجر جهاز التكييف في الصالة التي وضعت فيها البيضة.. أخبرتني (سكرتيرة) المدير عن ذلك.. أعتقد أن بعضاً لن يسكتوا على هذا النجاح.. إنهم يشككون بالاكتشاف ويعتبرونه تخريفاً.. وربما كانوا وراء انفجار المكيف؟

- ولكن لماذا؟ ما الذي سيفيدهم تفجير جهاز التكييف؟

- لا أدري ولكن شيئاً ما يكمن خلف هذا العمل..

- معك حق.

ورن جهاز الهاتف، رفع الدكتور عارف السماعة متسائلاً:

- نعم.. من الذي يتكلم؟

أجابه صوت خائف:

- أنا حارس الصالة يا سيدي.. هناك أصوات غريبة تصدر من الداخل..

- أصوات ضرب على حجر.. أصوات حركة جسم ضخم..

- هل أنت خائف؟ إن كنت خائفاً استدع بعض زملائك لمشاركتك الحراسة.. يجب ألا تغفل عينيك عن البيضة أبداً..

- حاضر سيدي..

- وضع السماعة وهو يفكر ما الذي يحصل هناك هل هي محاولة سرقة؟ أم محاولة تكسير البيضة وتحطيمها؟

سألته لينا: - ما الذي يجري يا عارف؟

- تنهد محتاراً: - لا أدري يا لينا.. ربما كانت محاولة للنفوذ إلى الصالة وكسر أو تخريب البيضة..

- معقول؟ كيف استطاعوا النفوذ من جماعات الحراس المنتشرة في المركز؟

- ربما اعتمدوا على تقنية متطورة للتغلغل داخل أبنية المركز..

- أعتقد أنه يجب عليكم مضاعفة عدد الحراس وزيادة أجهزة الإنذار..

- معك حق.. سأتحادث مع مدير المركز في هذا الشأن غداً..

☆ ☆ ☆

ولكن الضربات ازدادت، وحركة الجسم الضخم ازدادت أيضاً.. وهذا ما استدعى الحارس وزميله الجديد للاتصال بالدكتور عارف من جديد..

ولم يجد الدكتور عارف بداً من الحضور إلى المركز في وقت متأخر من الليل لدراسة هذه الأصوات وتحليلها، وقد سيطر الخوف على الحارسين.

- أسمعت يا سيدي؟

- سأدخل الصالة وأتحرى الأمر..

لم يجد أحداً في الداخل.. اقترب من البيضة.. كان من الواضح أن الأصوات تنبعث من داخلها - يا إلهي معقول؟

- ماذا يا سيدي؟

- ناولني جهاز هاتف لاسلكي بسرعة..

- تفضل يا سيدي..

لم يجد بداً من الاتصال بمدير المركز في تلك الساعة المتأخرة:

- أنا آسف لإزعاجك في هذا الوقت.. ولكن يبدو أن شيئاً آخر سيحدث أيضاً.. ربما كان كشفاً علمياً في منتهى الخطورة..

- ماذا يا دكتور عارف، خير؟..

- أعتقد أن كائناً ضخماً يستعد للخروج من البيضة..

- ماذا؟ ماذا تقول؟ مستحيل..

- لا وقت لدينا، نحتاج لعدد ضخم من الحراس وأجهزة تصوير متطورة لتسجيل الحدث.. ثم إن هذا الحيوان الوليد قد يكون شديد الخطورة..

- حسناً أنا قادم..

وضع السماعة بقلق بالغ.. سأله أحد العمال..

- أتعني أن هذه البيضة الهائلة ستفقس؟

كانت الضربات داخل البيضة تزداد قوة..

- انظر يا سيدي، لقد انفتحت البيضة من جانبها..

- لنخرج من هنا، ونغلق الأبواب جيداً.. يعلم الله أية تصرفات غريبة سيقوم بها هذا الزاحف الضخم..

- وماذا سنفعل يا سيدي؟

- سيأتي مدير المركز بعد قليل سنتباحث معه حول المشكلة

ولم تمض لحظات حتى كان مدير المركز ينضم إلى الحشد

الذاهل، وهو يسمع الدكتور عارفاً يتمتم (برعب) - إنه يكسر جدار البيضة ويتهيأ للخروج..

- وماذا فعلتم لحصاره بعد أن يخرج.. قد يهدم كل شيء حوله..

- إذا شعرنا بازدياد خطره سنجعل درجة الحرارة تهبط إلى أدنى معدل ممكن وفي هذه الحالة ولأنه حيوان زاحف من ذوات الدم البارد.. قد يدخل مرحلة سبات شتوي..

- ولكنه حيوان وليد قد يموت.. ونخسر بذلك عينة خارقة لحيوان اخترق الزمن ليأتي لعصرنا

- وماذا سنفعل إذن؟

- يجب أن ننجح في حصاره وتقييد حركته دون أن نؤذيه.. سأستدعي بعض رجال الشرطة لمساعدتنا

- لن تستطيع الشرطة أن تفعل شيئاً.. إنه من نوع (الهولوسورس) ديناصور لاحم شرس سيبحث عن غذائه فور خروجه..

إنه يخرج من البيضة يا سيدي.. وينتقل في الصالة.. أراه عبر النافذة الصغيرة..

يا إلهي.. إنه ضخم شديد القبح.. إنه يبحث عن غذائه..

كان الحيوان الهائل يتحرك بهيجان بالغ:

- مزرعة حيوانات التجارب إلى جانبنا، ماذا لو أحضرنا إليه بعضها ما دام لاحماً كما تقول يا دكتور عارف؟

- إنه حل مؤقت معقول..

وانضمت إليهم باحثة في علم الحيوان، أيقظها الدكتور عارف من نومها لتأتي وتساعدهم في البحث عن حل.. كانت الدكتورة ميساء اختصاصية بالزواحف القديمة.. ربما تمكنت من معالجة خروج هذا الزاحف الخطر إلى النور..

همست برعب: آه..، إنه (الهولوسورس) لحظة ولادته.. إنه جائع يصرخ.. يجب أن تؤمنوا له طعامه قبل أن يثور ويدمر ما حوله..

- سآمر بإحضار بعض حيوانات التجارب له.. بعض الأبقار والجواميس..

- بسرعة يا سيدي.. لا وقت لدينا..

ودفعت إلى الصالة مجموعة من الأبقار والجواميس الخائفة.. وانقض عليها الزاحف الوليد يلتهمها بشراهة، وهو يطلق

أصواته الكريهة.. وأخذ يتحرك بهياج شديد وهذا ما جعل الدكتورة ميساء تطالب بإحضار الماء له..

واستنفرت صهاريج المياه تسكب المياه من خراطيمها الضخمة في فتحة من سقف الصالة حيث فتح الحيوان الكريه فمه يتلقفها بشراهة أيضاً..

وحضرت مجموعات من المصورين تكاثروا على النوافذ الصغيرة، يصورون الحيوان من مختلف الجوانب.. ولكن الحيوان لم يكن كما يبدو مرتاحاً في غرفته الضيقة.. وهذا ما جعله يلطم بذيله الضخم الطويل جدران الصالة..

- ماذا سنفعل الآن.. إنه يحطم جدران الصالة، يريد أن يخرج.

- أعتقد أن السيطرة عليه ليست عملية صعبة.. إنه حيوان رغم ضخامته.. وهو في منتهى الغباء..

- معك حق يا دكتور عارف.. يجب أن نحيط مكان وجوده بالماء.. إنه يخاف من المياه ولا يجرؤ على خوضها..

علق مدير المركز:

- ربما خرج على هذا العامل الوراثي المتأصل في سلالته؟

أكدت ميساء - لا أعتقد.. هذا الاحتمال ضئيل للغاية.. على كل حال يجب أن نحاصره بالمياه.. قد يكون هذا الحل هو الحل الأمثل..

- وكيف سننفذ ذلك؟ العملية تحتاج لوقت..

- استنفر جميع أجهزة المركز لتشكيل جزيرة صناعية يكون هو في وسطها.. لتسرع في ذلك قبل أن يستفحل خطره.. قد يخرج من الصالة خلال دقائق..

- وربما اتجه صوب مزرعة حيوانات التجارب.. سيدمر المزرعة خلال وقت قصير.

اتصلت لينا بعارف تتوسل بالهاتف:

- سمعت الخبر من الإذاعة، وبث التلفاز مناظر خروج الحيوان من البيضة.. هل يمكن أن آتي للمركز لأنضم إليكم..

- لا يا لينا أرجوك.. أنت في بداية حملك.. ويعلم الله أي خطر جسيم سيعرضنا له هذا الحيوان، افهميني يا حبيبتي؟

- نعم يا عارف فهمت.. انتبه لنفسك.. كن حذراً.

أطبق السماعة.. وهو يقول لميساء:

- إنها زوجتي ترغب بالمجيء إلى هنا..

- الدكتورة لينا.. ستكون ذات فائدة كبيرة لنا أيضاً..

- منعتها من المجيء.. هي في بداية حملها..

- معك حق.. لن يكون المجيء إلى هنا نزهة بسيطة.. أين مدير المركز..؟

- ذهب يستنفر العاملين في المركز.. لتنفيذ اقتراحك في إقامة الجزيرة الصناعية..

كان الزمن يتسارع بشكل مخيف.. وقد دمرت (السحلية) الضخمة الصالة تماماً، وهي تخرج للعراء، يا لها من ديناصور هائل الحجم.. يتحرك ببطء، وأضواء المصابيح، وهم على أبواب الفجر تبهره.. وهو يقف ويدور حول نفسه محركاً ذيله الضخم الثقيل.. ويطلق صرخاته الوحشية الكريهة.

- اقتربت مجموعة من الآليات الضخمة والرافعات تحاول حصاره..

«أعزائي المشاهدين من قلب الحدث نتحدث إليكم، ونحن ننقل إليكم تفاصيل خروج الديناصور الضخم إلى العراء.. يسرنا أن نلتقي وعلى الهواء مباشرة مع الدكتور عارف السالم.. الذي اكتشف بيضة هذا الديناصور الضخم في قاع البحر.. صباح الخير دكتور عارف»

- صباح الخير..

«أيمكن أن تحدثنا عن نوع الحيوان هذا.. وكيف ستتصرفون لكبح جماح اندفاعه»

- إنه نوع من السحالي القافزة، يعود عمرها إلى نحو مئة مليون سنة.. نوع لاحم شديد الشراسة..

«ألا يشكل خطراً على الناس هنا؟»

- المركز مستنفر بكامل طاقته لعلاج هذا الموضوع..

«حدثنا قليلاً عن فصيلته.. وكيف كانت تعيش في الماضي السحيق؟»

- زميلتي الدكتورة ميساء مختصة بهذا الموضوع

- صباح الخير دكتورة ميساء.. حدثينا عن فصيلة هذا الديناصور، وكيف كانت تعيش، وكيف انقرضت..

- إنها إحدى الفصائل اللاحمة في عالم الديناصورات.. وهي فصائل خطيرة، كانت ترعب بظهورها حيوانات الماضي السحيق.. وربما انقرضت مع بقية أنواع الديناصورات من جراء اصطدام مذنب بالأرض قبل نحو ٦٠ مليون سنة، سبب شتاءً طويلاً وبرودة عجلت بهلاك هذه الحيوانات ذات الدم البارد..

- الحيوان الكريه يتحرك صوب مزرعة حيوانات التجارب.. كأنه شعر أن طعامه سيكون هناك.. المصوِّرة تتابعه الآن.. شكراً لك يا دكتورة ميساء.. والآن نتجه لملاحقة حركات هذا الحيوان الضخم.. الناس يهربون بعيداً عن طريقه.. هذا أفضل.. كلما ازداد التجمع البشري سيكون الوضع خطراً.. قد يهجم على هذا التجمع، ويهلك الضحايا دون توقف.. ونرجو أن ينجح مدير المركز في تكوين الجزيرة الصناعية قبل أن يستفحل الخطر.. الروافع الضخمة تحاول سد الطريق أمامه وعرقلته.. إنه يتناول بفمه إحدى الروافع ويلقيها بعيداً.. بعد أن يهشمها.. مسكين سائقها لم يستطع الهرب..

يبدو أنه اتجه صوب الروافع يصب جام غضبه عليها.. الروافع تطلق أصواتاً مزعجة له.. وتحاصره بأضوائها.. سيطلع النهار على مجازر سيقوم بها هذا الحيوان..

الآن كما تشاهدون، إنه يقف محتاراً، ويطلق صرخاته العصبية.. كأن الأصوات أزعجته وحاصرته..

(البلدوزرات) تقوم بحفر الخنادق الضخمة لملئها بالمياه.. أرجو أن ينجحوا في تشكيل الجزيرة ودفعه إليها قبل أن يدمر كل شيء..

ما زال يقف متردداً منزعجاً من الأضواء والأصوات التي تطلقها الروافع.. الروافع تتحرك حركة واحدة حوله.. ذلك المهندس الشاب يقوم بعمله بذكاء خارق. وقد ينجح في دفعه بهذه الطريقة إلى الجزيرة الاصطناعية..

وبدأت خيوط الفجر بالظهور.. وظل الحيوان الضخم متأثراً بالأصوات من حوله.. يقف محتاراً متردداً وهو يطلق صرخاته الوحشية..

ثم انقض نحو الروافع الضخمة محاولاً تحطيمها.. ولكن فكرة طرأت على ذهن الدكتور عارف وهي حصاره بخراطيم المياه..

وفعلاً شاركت سيارات الإطفاء بهذا العمل.. وسلطت خراطيم المياه المندفعة صوبه.. فأوقفته عن الاستمرار في تحطيم الروافع..

ولم يزد عدد الضحايا عن خمسة من الجرحى جراح أحدهم كانت خطيرة، وهذا الجريح توفي إبان نقله إلى المشفى، وهو سائق الرافعة التي حطمها الديناصور في البداية.. وظلت الأجهزة مستنفرة، تحاول كبح جماح اندفاع الحيوان هائل الحجم.. حيث قدمت له وجبات إضافية من الأبقار والجواميس قبل أن تدفعه خراطيم المياه صوب الجزيرة الاصطناعية موطن إقامته في مركز البحوث..

كانت جزيرة بمساحة تزيد عن عشرة آلاف متر مربع تحيط بها المياه من كل صوب بخنادق وصل عرض بعضها إلى عدة مئات من الأمتار.. وظل مركز الأبحاث العربي محط أنظار مراكز البحوث العالمية التي تسابق علماؤها في زيارات اطلاعية لرؤية هذا الحيوان الضخم ودراسة طباعه.. وقد كلفت عملية إبقائه على قيد الحياة مبالغ مالية كبيرة.. وظل عدة أشهر قبل أن يصاب بهياج مجنون، أدى به إلى القفز ومحاولة اختراق المياه..

وازدادت أحواله اضطراباً، والزوار يتدفقون من كل صوب لرؤيته.. حتى سقط أخيراً فيما يشبه السبات الطويل الذي أدى به إلى الموت، وشاركت هيئات علمية عالمية في الحفاظ على جثته التي تتوسط، محنطة بكل ضخامتها، متحف العلوم في جامعة العاصمة..



الأصابع السحرية

كان رجلاً مشهوراً بذكائه ورَهافة حسّه بين الناس الذين يعرفونه وكانت ثقافته الكبيرة مرجعاً لهم في معرفة التواريخ والأخبار وحياة العلماء وأقطاب الفلسفة..

كان لا يبخل بالمساعدة على أحد، وكان كثيراً ما يضيّع الوقت لشرح مسألة رياضية استغلق فهمها على طالب خائف من الامتحان.. ولم يكن يعتذر عن استقبال الناس، وقد عاش وحده في بيت صغير غصّ بالكتب والمجلّدات والمخطوطات القديمة..

كان يعيش في أحلامه وخيالاته المجنّحة في تكوين أسرة صغيرة، وكان لا يحاول أن ينتقل بتلك الخيالات إلى عالم الواقع، لأنه كان محدود الدخل، لا يريد أن يورّط فتاة بالزواج منه، وهو لا يستطيع أن يسعدها بالمال والأمان ضد غوائل الدهر..

وصل (هاني) إلى سن الثامنة والثلاثين، وهو في حياته الراتبة المليئة بالأماني المحلقة والخيال المجنّح، وهو يزداد فهماً للقراءة، يكتب في دفاتره الكثير من القصص والمقطوعات الشعرية التي تمتلئ بالرقة والبوح الشجيّ الحزين..

وفي يوم عيد ميلاده الثامن والثلاثين، ولم يكن يكترث بهذا اليوم، فقد كان يعدّه مثل كل الأيام الأخرى، سوى أنه يزيد على عمره عاماً..

كان الجو لطيفاً، وأيلول لم يتجاوز منتصفه بقليل، والساعة تقارب التاسعة ليلاً، وهو في قبوه الصغير يغوص بين ركام الكتب، حين سمع خبطاً على نافذة قبوه الصغيرة المطلّة على الشارع..

اعتقدها لأول وهلة مصادفة، أو أن أحدهم يعبث معه، فلم ينهض من مكانه، ولكنّ الخبط تكرّر من جديد، مع صوت أنين حزين.. جعله يقفز من مكانه يرتدي ثيابه بسرعة..

«غريب، كأنه جسم غريب سقط على النافذة، هكذا اعتقدته، ولكن يبدو أن أحدهم يستنجد بي»

فتح الباب واندفع إلى الشارع، رأى كأن شخصاً ينهال بالضرب على آخر.. صرخ: ماذا تفعل، اترك الرجل.. اقترب

من الرجل الممدد كان الدم ينزف من رأسه.. كأن الشخص الآخر ضربه بآلة حادة..

أنّ الرجل – أرجوك.. أنا أموت..

– سأهتف إلى سيارة الإسعاف..

– لا فائدة أنا أموت.. اقترب مني قليلاً اسمعني جيداً لا فائدة من إسعافي سأموت خلال دقائق..

افتح القميص ستجد في داخله مخطوطاً صغيراً احفظه لديك واقرأه جيداً.. وحاول الاتصال بابنتي..

– من الذي اعتدى عليك، قل لي بسرعة؟

– إنه شخص من الصعب الوصول إليه.. إنه..

لم يستطع إكمال كلامه فقد غاب عن الوعي، وضع هاني المخطوط في صدره، وترك الرجل، ليتصل بالشرطة والإسعاف، رأى دكاناً مفتوحاً في الجهة المقابلة، فطلب من صاحبه استخدام الهاتف فوافق الرجل مؤكداً «ثلاث دقائق فقط».. (أدار قرص الهاتف) على رقم شرطة النجدة (هناك رجل يتمدّد والدم ينزف منه، لقد اعتدى عليه أحدهم سأعطيك العنوان).

☆ ☆ ☆

اتصل هاني بالنجدة، ثم اتصل بالإسعاف.. واتجه فوراً إلى مكان الرجل، فرأى عن بعد الشخص المعتدي يفتشه بوحشية.. أسرع نحوه ملتاعاً، وقد خاف أن يكون قد أكمل عليه وقتله..

- قف.. قف.. أيها الناس، ألا ترون أنه يعتدي عليه؟

قال أحدهم: اتجه إليه من الجهة الأخرى، سأحاصره..

- إنه يحمل سكيناً..

- لن تلبث الشرطة أن تحضر، يجب أن نقبض عليه..

- إنه سريع.. انظر.. يكاد يطير فوقنا..

- الخوف يعطي الإنسان قوة إضافية.. هيا حاصره أنت من الجهة الأخرى..

- قف أيها الوغد..

ولكن المعتدي صوب نحوه السكين

- لقد طعنني.. (يئن)

- أي شيطان هذا الوغد، إنه يتحرك بسرعة خارقة، لقد اتجه نحو الزقاق واختفى..

وصلت سيارة النجدة..

قال هاني - حاولنا القبض على الجاني فهرب في هذا الاتجاه..

أعطى الضابط الأمر لشرطيين:

- ليذهب اثنان منكم في محاولة اللحاق به.. هيّا..

- هل نأخذ السيارة يا سيدي؟

- نعم.. بسرعة..

- سنفعل يا سيدي..

صعد الشرطيان السيارة لمحاولة تتبع المجرم..

سأل الضابط: - من الذي بلّغ عن الحادثة..؟

قال هاني - أنا يا سيدي..

- ماذا جرى له، يبدو ممزقاً بطعنات قاتلة..

ووصلت سيارة الإسعاف

- إنه ميّت يا سيدي الضابط..

- اتركه هنا، حتى تحضر لجنة التحقيق.. والمصور والطبيب الشرعي.. (والآن) خذو الجريح وأسعفوه بسرعة..

- نعم يا سيدي..

- نعم.. قل لي يا أستاذ هاني، ألم يقل شيئاً وهو يموت؟..

فكّر «لن أخبره عن المخطوط» ثم قال بارتباك: كأنه كان يتمتم بعبارات غريبة لم أفهمها كثيراً..

- مثلاً.. حاول أن تتذكر..

- حكى بلغة غريبة، كأنها لغة هذيان، ثم قال حين سألته عن الشخص الذي اعتدى عليه، إنه من الصعب الوصول إليه..

سأل المحقق رجال الشرطة:

- هل فتشتموه جيداً؟

- نعم يا سيادة المحقّق.. وهذه هي الأشياء التي عثرنا عليها في جيبه.. مفكرة صغيرة فيها أرقام.. مفتاح ربما كان مفتاح المنزل الذي يقطن فيه، بضعة أوراق نقدية، ثم هذه العلبة الغريبة..

- إنها فارغة عليها خطوط وزخارف غريبة.. ولا شيء بداخلها.. قل لي أيها الضابط، ألم يكن يحمل صورة عن هويته..؟..

- هذا كل ما عثرنا عليه يا سيادة المحقق، أما سبب الموت فأكد الطبيب الشرعي أنه مات طعناً بآلة حادة، أصابت القلب، ومزّقت الرئة..

دخل أحد رجال الشرطة لاهثاً:

- أخبرونا من المستشفى يا سيدي، جثة الرجل تتقلص وتتحوّل مضمحلة في البرّاد..

- ماذا؟ ما هذا التخريف؟

- يطلبونكم للحضور يا سيدي.. إنهم يلحّون على ذلك، يمكنك أن تتصل بهم بهذا الرقم..

ناوله رقماً على ورقة صغيرة: - حسناً

أدار الرقم بهدوء..

وحين عرّف بنفسه سمع صوتاً يقول بلهفة «سيادة المحقق لا تضيع الوقت، أرجو أن تأتي حالاً»

- ما الذي يجري يا دكتور؟..

- إنه أمر مذهل، أرجو ألا تتأخر..

- حسناً سأحضر حالاً..

تقدم هاني: - أيمكنني مرافقتك يا سيدي المحقق، قد أفيدك.

- حسناً، تعال معي..

وصل المحقق إلى المستشفى، ودخل إلى (البرّاد) بصحبة

الطبيب، كانت جثة الضحيّة بالفعل تنكمش على نفسها ويتضاءل حجمها بالتدريج، وقف المحقق مدهوشاً أمام هذه الظاهرة الغريبة، وكان هاني يتحسس المخطوط في داخل قميصه.. وهو ينظر بذهول إلى الكائن الميّت الذي ينكمش على نفسه في اضمحلال غريب..

- لم تقل لي ما هو السبب يا دكتور؟..

- إنها حالة لم أرها مطلقاً، حتى في الموسوعات الطبية لم أعثر على تفسير لها.. وسيكون دأبي البحث عن السبب في كل المصادر التي أستطيع الحصول عليها، يجب أن أعرف لماذا ينكمش الجسد هكذا؟ إنه أمر في منتهى الغرابة..

- إذن لا نستطيع أن نعثر على الأساس الطبي لهذه الظاهرة؟

- حتى الآن لا.. تكلمت قبل وصولك مع أستاذي، وهو طبيب مشهور له خبرة طويلة، لم يسمع عن مثل هذا الاضمحلال الغريب في حياته الطبيّة الحافلة..

- أرجوك يا دكتور أن ترسل لنا تقريرك بسرعة، وتضع فيه رأيك، واستغرابك لهذه الظاهرة، وإن توصلت إلى تفسير، أحضره لنا على الفور..

- سأفعل أيها المحقق..

- أنا متشوّق الآن لمعرفة سرّ المخطوط الذي أحمله.. لا بدّ أنه يحمل تفسيراً لمثل هذه الظاهرة..

هيّا يا أستاذ، نتابع التحقيق، هه أرأيت كم يبدو أمر ذلك الرجل الميت غريباً؟

- نعم يا سيدي..

- ما رأيك؟

- لا أدري ما أقول لك يا سيدي، إنه أمر مدهش حقاً

- لا بأس، سنكمل حديثنا في المخفر..

كان ساهماً شارداً وهو يتأمل وجوه الناس في الشارع:

- ما بك يا أستاذ هاني؟

- يخيّل إليّ أنني رأيت الرجل المعتدي.. إنه يقف في ناصية الشارع

- أين، لا أرى أحداً.. آه.. نعم.. ذلك الرجل الذي يعتمر القبعة والمعطف

- نعم يا سيدي..

- سآمر بإحضاره حالاً..

وعاد الرجال بعد دقائق:

لم نعثر عليه يا سيدي، لقد اختفى..

- حسناً.. هه قل لي يا أستاذ هاني، لماذا يحوم هذا الرجل في الجوار؟ أتعتقد أن هناك سبباً ملحّاً لذلك؟

- لا أدري يا سيدي..

فكّر بحيرة: لا بد أن للمخطوط الذي أحمله أهميّة كبيرة، يا إلهي ربما كانوا يشكّون بي..

- ما بك؟ تبدو خائفاً..

- ما يحدث يا سيدي ليس سهلاً..

- معك حق، حسناً لنكمل حديثنا.. احكِ لي بالتفصيل ماذا حدث..

- نعم يا سيدي.

- عاد هاني إلى منزله في ساعة متأخرة، وقد أوصلته سيارة الشرطة بعد أن طلب من أحد رجال الشرطة اصطحابه إلى المنزل، وبخوف طلب منه أيضاً التأكد أن لا أحد في البيت ينتظره..

غادر الشرطي فأقفل خلفه الباب وانكفأ إلى الداخل وقد ازداد الخوف في قلبه.. كان القبو يطلّ على فسحة سماوية ضيقة، تحيط بها الأبنية المضاءة من كل جانب.. وقد أغلق هاني بابها جيداً.. ثم دخل بحرص إلى المطبخ يعدّ فنجان القهوة، وقلبه ينبض بعنف، وقد تحسس المخطوط الذي يرقد باطمئنان داخل قميصه..

أسند الفنجان قرب رأسه، وأخرج المخطوط بحرص يفتحه ويقلّب صفحاته بذهول..

إنه مكتوب بلغة عربية فصحى، رائحته أشبه برائحة (الصندل) هه.. «أنا عبد الإله الحامدي» أضع في هذا المخطوط خلاصة تجربتي وخبرتي، واكتشافي.. إنه عصارة فكري الذي بذلت فيه كل طاقتي وجهدي، وتعبت لأصل إلى نتائجه.. آه.. سأبدأ الآن بالكلام على حياتي ومسيرتي الطويلة حتى وصلت إلى هذا السن..

كنت طفلاً حالماً عشت في قرية نائية، أخرج إلى بساتينها وغاباتها، وأقضي أيامي مع الطيور والحيوانات الصغيرة والمسحة الشاعرية التي أعطتني شفافية أفادتني كثيراً في سن النضج.. علاقتي مع الطبيعة الغنية بالجمال والروعة نقلتني إلى

عالم حلمت كثيراً بالولوج فيه، دون أن أدري أنني بذلك أختار مصيراً جديداً.. وفي أحد الأيام وكنت منزوياً تحت شجرة أتأمل الجمال من حولي سمعت صوت سعال.. كان هناك امرأة عجوز السن وشابة يافعة:

- تشجعي يا ابنتي.. لم يبق سوى دقائق ونصل إلى القرية.. هيا يا زهرة

- ولكنني أشعر بتعب فظيع..

- لا بأس لنسترح قليلاً هنا.. تحت هذه الشجرة

فكرت - «سأختبئ خلف الجذع حتى لا ترياني..»

- قلت لكِ: إن ذلك الرجل يعرف الكثير، وهو الذي سيخلصك من مشكلتك..

- كأن الأمر أشبه بالسحر.. أمعقول أن يخلصني مما أعانيه من آلام، عجز الطب عن علاجها؟

- يداه ساحرتان، كأنهما تبثان إشعاعاً.. إنهما تستلان الألم والمرض، فيذهب إلى غير رجعة..

انتابني الفضول (من تقصد بحديثها، أمعقول أن يوجد مثل هذا الرجل في قريتنا؟)

- اسمعي يا أمي.. لماذا لا تذهبين لإحضاره إلى هنا، إن كنت تعرفين مكان إقامته جيداً أشعر أنني لا أستطيع الحركة..

- قد يرفض يا ابنتي..

- هذا أفضل من أن أموت في الطريق إليه

- أخاف أن أتركك وحيدة؟

- لا تخافي عليّ، سأكون في أمان، لا أحد حولنا، ثم إن الناس مسالمون هنا..

- حسناً.. لن أتأخر.. وأرجو أن أوفق في إحضاره إلى هنا..

(ربصت في مكمني لا أتحرك وانقضى نحو الساعة، حين سمعت صوت الفتاة تتألم وهي تبكي، ترددت في الاقتراب منها، فربما تخاف ويتعقد وضعها، تسللت قربها أراقبها وهي تتألم خائفة فرأيت أفعى تنسلّ قربها، وهي تراقبها برعب فظيع.. فلم أجد بدّاً من التدخل حيث قضيت على الأفعى بضربة من حجر هرست به رأسها..

قالت بصوت حمل الكثير من عرفان الجميل:

- لقد أرسلك الله لإنقاذي.. كيف جئت إلى هنا؟

- سمعت صوتك وكنت مارّاً من هنا.. الحمد لله، جئت في

الوقت المناسب.. لماذا تتمددين هنا؟ هل أنت مريضة؟ هل أستطيع مساعدتك؟..

- شكراً لك، أنا في انتظار أمي، ذهبت وستعود بعد قليل..

- حسناً سأنتظر حضورها، حتى أطمئن عنك..

- قد أتعبك؟.. ربما كنت مشغولاً وعطلت عليك عملك؟..

- لا.. لا تقلقي من هذه الناحية.. اسمي عبد الإله، أنا من القرية المجاورة.. أحب التجوّل في البراري، أتملّى جمال الطبيعة وروعتها..

- ما هو عملك؟

- أكتب المخطوطات، يقولون إن خطي بديع وهم يتسابقون أحياناً لأكتب لهم الرسائل والكتب، لم تقولي لي ما هو اسمك؟

- اسمي زهرة.. وأنا أعمل في تركيب العقاقير النباتية..

- ولكن ما الذي جرى لك، لماذا لم تجدي علاجاً لحالتك المرضية؟

- جربت عقاراً ازدادت فيه نسبة السموم.. فأثر عليّ تأثيراً سلبياً.. جئت إلى هنا لزيارة رجل يقال إن يديه تشفيان المرضى..

- ساحر؟

- لا.. ليس ساحراً، إنه يتمتع بطاقة في يديه، كأنه يبث منهما الإشعاعات..

- ومن هو؟.. أتعرفين اسمه؟

- يقال له (الصوفي) وهو يعتزل الناس..

- وكيف تعرفت به والدتك؟

- والدتي امرأة عارفة، إنها مستودع كبير للشفافية ونقاء الذهن أتاها في الحلم وطلب منها إحضاري إليه، ووصف لها الطريق بدقة..

فكرت مستغرباً «الصوفي؟ ذلك الرجل الذي ينعزل في كهف يطلّ على القرية، آه، في قريتنا لا يحبّ الناس بعضهم بعضاً، لذلك انحطّوا إلى الدونيّة، ولم ينتبهوا إلى ذلك الرجل العظيم الذي يعيش بينهم.. ويقابلونه بالاحتقار والازدراء، رغم أنه لم يسبب الضرر لأحد..».

- ما بك؟ تبدو شارداً؟

- أفكر بحالتك..

سمعا أصواتاً بعيدة، كانت المرأة والصوفي يقتربان، سمعت صوته يقول:

«قرب ابنتك شاب أنقذها من أفعى كادت تلدغها..»

استغربت المرأة: - الحمد لله، أنها لم تصب بسوء.. ثم اتجهت صوبي تشكرني، قلت لها:

- لم أفعل سوى الواجب يا خالة..

ردد الصوفي - عبد الإله.. الشاب الذي يخطّ الكتب والرسائل، والحالم الذي شغف بالطبيعة وأحبّها..

استغربت معرفته بي - كيف حالك يا سيدي؟

- معدنك نقي يا بني.. أنت بحاجة إلى من يخرجك من دائرة هذه القرية الملعونة..

- ليتني أحظى باهتمامك يا سيدي..

- ها هي زهرة أمامك يا سيدي..

- زهرة، الفتاة اللطيفة، التي جربت عقاراً على نفسها فآذاها.. هه، لا تخافي يا ابنتي سيساعدني الله في علاجك.. مدّيها هنا يا أختاه.. وأرجو أن تقفي جانباً مع هذا الشاب.

- نعم يا سيدي..

«آه يا إلهي.. رأيت شيئاً أذهلني، تحركت أصابع الصوفي

السحرية على بعد سنتمرات من جسم زهرة، وبدأت تحوم ثم تنكمش، كأنها تنزع الألم من مناطقه.. وزهرة هامدة بلا حركة وأمها تحدّق بأصابع الصوفي التي كانت تتحرك بليونة ورشاقة، وهو مغمض العينين يتصبب العرق من جبينه كأنه يبذل جهداً كبيراً.. وفي النتيجة، لم تمض نصف ساعة على بدء العلاج حتى نهضت زهرة وكأنها لم تكن مريضة.. نهضت بنشاط ملحوظ.. وانكبّت على يدي الرجل الكهل تقبلهما.. فقال لها بلطف:

- ابتعدي يا ابنتي، أنا بحاجة إلى أن أغسل يديّ بالماء.. آه.. أنا متعب، لقد أتعبني تركيز الطاقة، لأستل آلامك ومرضك، وأعيد تنظيم مراكز الطاقة..

كانت العجوز مندهشة وهي تردد:

- عملت عملاً مذهلاً يا سيدي..

أبعدها برفق: - اتركيه يا خالة ليرتاح قليلاً، سأحضر بعض الماء له من البستان المجاور، لن أتأخر.. حمداً لله على سلامتك يا زهرة..

- شكراً لك يا عبد الإله..

- يبدو شاباً لطيفاً..

- إنه رائع يا أمي، يبدو شفافاً، عميق التفكير.. أماه يبدو الصوفي متعباً تماماً..

- بذل جهداً إضافياً في علاجك يا زهرة..

- تفضل الماء يا سيدي..

- شكراً لك يا بني أحتاج إلى ماء حتى أتطهّر من الأدران العالقة بها..

«لحقت بالصوفي بعدها وأخذ يعلمني أساليب التأمل الباطني، والتركيز الذهني، وخلال أقل من عام تفجرت طاقتي الحبيسة ولكن شيئاً ما كان يلحّ عليّ باستمرار، هو اللقاء مع زهرة».

☆ ☆ ☆

تابع هاني قراءة المخطوط وهو يفكر:

«من الطبيعي أن يلتقي بها.. يا إلهي، أشعر بالحروف والكلمات كأنها نابضة بالحياة، حتى الآن تبدو القصة عاديّة، لماذا أخفى مخطوطته وداراها بجسمه حتى الموت؟.. لا بدّ أن فيها شيئاً كثير الأهمية.. لأتابع القراءة، إنها الساعة الثانية صباحاً.. يجب أن أصل إلى السّر.. ربما كانت تخفي هذا السر» وصل إليه (رنين جرس الباب الخارجي)

فشعر بالرعب: يا إلهي من هذا القادم في هذا الوقت المتأخر؟..

عاد الرنين يتكرر بإلحاح.. سأرى من القادم بالعين السحرية.. إنه يغطيها حتى لا أراه صرخ: - من بالباب؟

- افتح الباب ولا تخف نحن أصدقاء..

- أصدقاء؟ في هذا الوقت المتأخر من الليل؟..

وضع المخطوط في كيس من (النايلون) في سلة المهملات وألقى النفايات فوقه.. وهو يسمع أصواتهم: - لا تخف.. لن نؤذيك، وإن رفضت أن تفتح الباب، سندخل بوسائلنا الخاصة؟

- ماذا تريدون مني؟

فكّر، وما زال الرعب يسيطر عليه:

- إنهم يبحثون عن المخطوط سأضعه تحت البراد هنا مغلفاً بالنايلون..

- نريد أن نتأكد أنك لا تحمل شيئاً يضرنا؟..

- يضركم؟ ومن تكونون؟ أنا لا أعرفكم..

- ربما لا تعرفنا، ولكننا نعرفك تماماً.. هيّا افتح الباب..

- وإذا لم أفتح، ماذا ستفعلون؟

سمع صوتاً رخيماً بدا أنه لسيدة، تسيطر عليهم تماماً..

- سندخل إليك بطريقتنا..

- اسمعوا أنا لا أعرفكم، ولا أعرف أنني أملك شيئاً يضركم، وأنا رجل أعيش وحدي، ولا علاقة لي بأحد.. ولا أسبب الضرر لأحد في حياتي أيضاً..

سمع حوارهم في الخارج: - ما أدراكم أنه يحملها؟

- فتشته جيداً لم أجدها.. أين اختفت..

عاد الصوت الملحّ من جديد:

- اسمع يا بني، افتح الباب ولا تخف، نريد أن نلقي عليك سؤالاً فقط..

ردد هاني بهدوء:

- يمكنك أن تلقي السؤال عليّ من وراء الباب، وأعدك أنني سأجيب عنه بصدق..

- حسناً، هل أعطاك الرجل الذي مات اليوم شيئاً..؟..

- شيئاً؟ مثل ماذا؟..

- لفافة مثلاً؟ كتاباً؟ جملة أوراق؟

- لم أفهم شيئاً؟ حدّدي بالضبط سؤالك..

سمع صوت رجل خشن: - سؤالها واضح تماماً، لا تتهرب من الإجابة..

- أنا لا أتهرب من شيء، كل ما كان في حوزة الرجل موجود عند الشرطة.. لذلك أريد أن تحدّدوا ما تريدونه بالضبط..

- نبحث عن مخطوط صغير، هام جداً بالنسبة إلينا..

- مخطوط؟ لم أر كتاباً مع الميت أبداً..

- ليس كتاباً ضخماً، إنه أشبه بدفتر يوميات صغير..

- دفتر يوميات صغير..؟

شعر كأن باب الفسحة السماوية ينفتح وسمع عدة أصوات.

- من هذا؟ ماذا حدث؟.. كيف دخلتم إلى هنا؟..

- من باب الفسحة السماوية..

تذكر أنه لم يغلقه بالرتاج سألهم:

- وكيف لم أشعر بكم؟

- لنا وسائلنا؛ كما قلنا لك.. (فتح الباب الخارجي) ودعا بقيتهم للدخول:

وهو يفكر بخوف «أرجو ألّا يكتشفوا مكان المخطوط..»

عادت المرأة تلحّ - أعتقد أنه يعرف شيئاً.. فتشوا المكان جيداً..

- سنفعل يا سيدتي..

- ماذا تفعلون؟ عمّ تبحثون؟ صدقوني لا أعرف شيئاً..

- كنت ساهراً تقرأ، ماذا كنت تقرأ؟

- ذلك الكتاب المفتوح، إنه عن علم الفلك.. كتاب شيّق..

- فتشوا المكان جيداً..

- صدقيني يا سيدتي لا أعرف شيئاً، ولم أر ذلك الشيء الذي تبحثون عنه.. ربما كان في حوزة الشرطة..

- لم نعثر على شيء يا سيدتي، قلبنا البيت رأساً على عقب..

- قلت لك لا أعرف شيئاً.. لماذا تنظرين نحوي هكذا؟ إنها تحدق بي، يجب أن أسيطر على نفسي وأشتت تركيزها، إنها تحاول أن تقرأ أفكاري..

قالت بعد لحظات:

- يبدو دماغك صعباً، ولكني متأكدة أنك تعرف شيئاً عن الرجل الميّت..

- صدقيني لم أره في حياتي من قبل..

قال رجل إلى جانبها - كنت السبب في منعي من أخذ ما أريده منه.. ستنال عقابي على هذا التصرف الأخرق..

- كنت أدفع الشر عن رجل يموت..

قال الرجل بغضب: - لست شراً.. أنا أنفذ أوامر قادتي..

فَكَّرَ، وما زال الخوف يسيطر عليه:

(يبدو أنهم ينتمون لمنظمة إرهابية كبيرة..)

قالت المرأة: - نعتذر عن دخولنا واقتحامنا منزلك في مثل هذا الوقت، ولكن كان لا بد من ذلك.

نحن نبحث عن (شيء مفقود) هام جداً بالنسبة إلينا، إن عثرت عليه سنكافئك بمبلغ محترم.. قد لا تحلم بالحصول عليه في حياتك..

- صدقيني يا سيدتي أنني لم أر شيئاً..

- ابحث وتحقق، ونحن بانتظار خبر منك..

- وكيف أصل إليكم؟..

- اتصل بهذا الرقم وقل له: (الكتاب المفقود حصلت عليه) خذ واحتفظ بهذه البطاقة..

- حسناً يا سيدتي..

- ستكون ثرياً يمكنك أن تصل إلى أي مكان في العالم، وتفعل ما تشاء..

- وما أدراني أنكم تعبثون بي؟

- ثق أننا لا نعبث بك..

- ولكنكم قتلتم الرجل..

- لنا ظروفنا ودوافعنا، وهي بالنسبة إلينا عادلة.. المهم ثق بنا

- ولكن..

- السيدة الكبيرة تؤكد لك أن بإمكانك الوثوق بنا، لماذا هذا الارتباك والتردد؟

- حسناً.. حسناً..

خرجوا من الباب وأغلقوه خلفهم

(يتنهد وهو يفكر) «يا إلهي ماذا أفعل الآن؟ أخشى أن يكتشفوا أنني أخفي المخطوط في مكان ما.. لن أتابع قراءته اليوم.. سأحاول أن أرتب هذه الفوضى التي فعلوها..»

أخذ هاني يرتّب الأثاث من جديد، ويعيد ترتيب الكتب الملقاة في كل مكان وهو يشعر بالتعب والخوف، إنه يندفع في مغامرة لا يعرف عنها شيئاً، وربما كلفته الكثير ربما كلفته حياته بالذات.. جلس أخيراً في فراشه وقد أنهكه إعادة ترتيب المنزل، وأخذ يفكر.

كان الفجر قد بدأ بالبزوغ، وتخايلت أمامه الصور المتداخلة عن الرجل الميّت الذي أعطاه المخطوط وطلب منه الحفاظ عليه وكيف أخفى ذلك عن المحقق ثم كيف بدأت جثة الميّت تتضاءل مضمحلة وسط غموض رهيب، ثم كيف أتت تلك السيدة الغريبة برجالها المرعبين تبحث عن المخطوط دون أن تدري أنها على بعد أمتار قليلة منه.. وكيف حاولت قراءة أفكاره، وفشلت نتيجة قدرته على التركيز..

جرت أحداث كبيرة غامضة.. فكّ هاني أسرارها وألغازها، وقد ساهم المخطوط كثيراً في اطلاعه على آفاق معرفية لم يكن يحلم بمعرفتها..

كان الوضع صعباً مغلقاً..

فكّر قلقاً:

- «إنه وضع معقّد لا أستطيع أن أستوعبه بعد، ربما لأن هؤلاء الضيوف المرعبين قد أثّروا عليّ تأثيراً سلبياً أتعبني»

بدأ الفجر يبزغ وهو يحاول النوم..

غفا قبل الفجر بقليل فرأى حلماً غريباً.. كأنه في طريق معتم لا بصيص من الضوء فيه، كان يمشي متحسساً ما حوله، سمع صوتاً مألوفاً:

- تعال يا هاني وساعدني، إنهم قادمون، أرجوك لن يرحموني إن رأوني هنا..

- إنه صوت الحامدي.. هه.. أين أنت؟ لماذا لا أراك؟ أمعقول أن يشتد الظلام إلى هذا الحد

- تحسس الجدار على يمينك شيئاً فشيئاً فستصل إلي..

- فعلاً.. يوجد هنا جدار.. أسمعني صوتك.. حتى أتجه نحوك..

- أنا قريب منك.. قريب.. تقدم نحوي..

- هه.. يا إلهي.. ما هذه اليد الصغيرة؟

- إنها يدي.. شدّني نحوك..

تحسسه، بدا له ضئيل الجسم كأنه بحجم طفل صغير، كان يتشبث برجله وهو يصغر أيضاً «يا إلهي.. كأنه يتحول إلى عقلة الإصبع، يده أشبه بيد ضفدع يا إلهي.. لا.. لا.. »

استيقظ مرعوباً وهو يسمع.. (صوت طرقات على الباب الخارجي)

- بسم الله الرحمن الرحيم.. ما هذا الحلم الغريب يا إلهي؟ أحدهم يطرق الباب، أرجو ألا يكون من أولئك الناس.. فتح الباب فرأى رجلاً غريباً:

- صباح الخير..

- كلفتني ابنة خالتك أن أسلمك هذه الرسالة.. تفضل..

- ابنة خالتي؟..

- نعم.. كانت في عجلة من أمرها وقد أعطتني هذا المغلف، وطلبت مني إيصاله إليك بعدما دلتني على البيت.. هه.. إنها فتاة كريمة.. نقدتني مبلغاً محترماً..

أمسك المغلف بيده وأغلق الباب وهو يفكر مستغرباً.. ابنة خالتي..

فتح المغلف فرأى ورقة داخله.. فتحها ليقرأ بدهشة:

«الأستاذ هاني آسفة على هذه الطريقة التي تستلم بها رسالتي، أعلم أن منزلك مراقب، لم أستطع القدوم إليك.. أنا ابنة عبد الإله الحامدي الذي تحتفظ بمخطوطه عندك.. كنت خائفة كثيراً أن تعثر عليه تلك المرأة ورجالها في بيتك، ولكن يبدو أنك أخفيته جيداً.. لا بأس.. أرجو أن توصل الأمانة كما طلب والدي.. سأنتظرك في المكتبة العامة هذا المساء.. سأكون في قاعة طلاب البحوث، أضع حول رقبتي شالاً بلون أحمر.. انتبه جيداً وأنت تقترب مني، يجب ألا تلفت النظر.. الأعداء خطرون..

سأكون بانتظارك منذ السادسة مساء.

مع تحياتي.. لينا الحامدي»

أتلف الورقة سريعاً وقد شعر أنها شديدة الأهمية وتناوشته الهموم:

ماذا سيفعل الآن؟ هل يخبر المحقق، أم يكمل قراءة..

(لينا) وأسلمها الأمانة؟ قبل كل شيء، يجب أن أكمل المخطوط؟..

لماذا الخوف إلى هذا الحد؟ الخوف الذي يجعله يتخيلهم يزرعون عيونهم حوله..

أغلق هاني الستائر جيداً.. بعدما تأكد من إغلاق الأبواب.. ثم جلس خلف مكتبه، يضع المخطوط ضمن كتاب ضخم مستعداً لأي طارئ..

أخذ يقلّب المخطوط، ويكمل قراءته مدهوشاً لسعة معارف كاتبه عبد الإله الحامدي..

☆ ☆ ☆

«لم يبخل عليّ الصوفي بمعلومة شعر أنني أستفيد منها إلاّ وقدّمها لي، وهو يشرحها بالتفصيل، ولكن صورة زهرة كانت تلح عليّ باستمرار، وكأنما شعر أستاذي (الصوفي) بشرودي، ففاجأني يوماً..

- هه يا عبد الإله، أما زلت تتذكر زهرة؟

- زهرة؟

- نعم زهرة الفتاة الجميلة، التي ستسعد كثيراً بالزواج منها..

- في الحقيقة يا سيدي، أنا لا أنكر أنني أتذكرها دوماً، ولكن كيف السبيل إلى الوصول إليها، وأنا لا أعلم عنها شيئاً.. لقد فارقتنا وأمها بعد ما أكملت علاجك.. دون أن تعطيني فكرة عن إمكانية اللقاء بها ثانية، لم تعطني عنواناً، أتعرف عنوانها يا سيدي؟

- ليس صعباً الوصول إليها.. أتريد رؤيتها؟..

- نعم يا سيدي..

- ركّز صورتها في ذهنك، وتأمل، ستصل إلى مكانها وتراها في داخلك.. هيّا جرّب.. أنت تملك قدرات هائلة..

- حسناً يا سيدي..

وبدأت أفكّر بما قاله وأحاول تركيز أفكاري..

وبدأ التركيز يأخذ مفعوله بالتدريج، فقد خيل إليّ أنني أرى زهرة.. أنا أرى وجهها المشرق الذي شدّني إليه قبل عام.. آه.. أراها تقبع في دار.. إنها قبو صغير.. خصصت غرفته الكبيرة لمخبرها.. إنها تجلس حزينة؟ يا إلهي، أنا أراها حزينة، معقول؟ أشعر بقلبي يزداد خفقاناً..

شعرت به يهزني: - استيقظ من تأملك يا بني.. أقرأ في وجهك الحزن، هل رأيتها حزينة، تمرّ في محنة؟

حسناً اذهب إليها حالاً..

- كيف سأذهب يا سيدي؟..

- سيدلك قلبك لا تقلق..

☆ ☆ ☆

ودعت أستاذي العظيم، واتجهت نحو الجنوب، هكذا دفعتني غريزتي، اجتزت جبالاً وودياناً حتى وصلت إلى مدينة ضخمة، تقع على سفح جبل أجرد.. درت في شوارعها يدفعني شعور غريب، حتى وصلت إلى شارع صغير، حركة المرور أمامه شبه منعدمة.. بدأ قلبي ينبض بعنف.. هل أقترب من منزلها؟

يا إلهي.. كنت مسيّراً بشعور غريب، دفعني لأطرق باب قبو ينخفض قليلاً عن مستوى الأرض.. ثم طرقت بابه.. ولا تسل عن دهشتي حين فتح الباب وطالعت وجه زهرة:

- عبد الإله.. أنت؟.. يا إلهي، قبل لحظات كنت أحلم بقدومك..

أخذت تصرخ: - أمي جاء عبد الإله..

أتت العجوز: - أهلاً بك يا بني.. الحمد لله جئت إلينا أخيراً..

- لو أعطيتني العنوان، لجئت منذ أشهر..

- الصوفي هو الذي أراد أن يختبرك..

- إنه معلّم حكيم.. يغترف من ينابيع المعرفة بسهولة.. إنه عبقري..

أكملت العجوز وهي تزفر بألم:

- مررنا بظروف عصيبة يا عبد الإله..

- هل عاد المرض إلى زهرة من جديد؟

- لا.. أبداً.. إنه أمر أخطر من ذلك..

- ماذا.. ما الذي حدث؟..

- جاء إلى زهرة بعض المرضى، عالجتهم بالأعشاب ونجحت تماماً في علاجهم.. وقد استخدمت مع بعضهم العلاج الحيوي.. ولكن هؤلاء تكلموا للأطباء في المدينة، يسخرون من الطرق الطبيّة الحديثة، فثار علينا هؤلاء واتهمونا بالسحر والشعوذة.. وتعرضت زهرة لمضايقات كثيرة..

- هذا أمر خطير فعلاً.. وماذا صنعتما لمقاومة هذه التهمة؟..

- تمكنت من الوصول إلى (القاضي العام) وشرحت له الموضوع بالتفصيل، وكان رجلاً متفهماً، حكم في القضية لصالحي.. ولكن مضايقة الأطباء لم تتوقف، بل ازدادت شراسة..

- وقد جاءتنا طبيبة متظاهرة بأنها ستقف معنا بحزم ضد ادعاءات زملائها.. ووضعت في خفية عنّا بعض المخدرات

الممنوعة وبعد دقائق من ذهابها داهمتنا الشرطة.. وبالطبع وجد الضابط كيس المخدرات، فقبض على زهرة رغم محاولاتي أن أدفع عنها التهمة دون جدوى..

- وماذا حدث بعد ذلك؟..

- اضطررت إلى اللجوء إلى قواي الخفية، ذهبت إلى منزل الطبيبة وكشفت لها عن طاقتي التي أملكها وعن اتفاقها مع زملائها لتوريط زهرة.. وهددتها أنني سأنتقم منها إذا لم تكشف الحقيقة للشرطة.. وفعلاً نفذت رغبتي وذهبت للشرطة وكشفت اللعبة وأطلق سراح زهرة.

- ولكننا لم نسلم من المضايقات، وخاصة أننا نعيش وحيدتين أنا وأمي..

- هل والد زهرة متوفًّى؟..

- نعم.. وليس لي سواها.. وليس لنا قريب في هذه المدينة..

- سأكون إلى جوارك يا خالة.. ولن تقلقي وزهرة بعد اليوم..

- كنت متأكدة أنك شاب غير عادي.. أنت من تلامذة الصوفي الآن، وقد تتوفق وزهرة في الوصول إلى أسرار القوى الخفيّة عند الإنسان. ولكن أين ستقيم؟..

- سأقيم قريباً من هنا..

ولم يمض أقل من شهر حتى تزوجت زهرة.. وعشت أجمل سنوات حياتي معها.. وكانت أمها أماً حقيقية لنا.. عملنا سوية في مجال الأعشاب.. ومجال الطاقة الحيوية.. واستطعنا إثبات أنواع من الأعشاب لها قدرة كبيرة على الشفاء.. وكنا نجرب العقاقير التي نصنعها على أنفسنا.. وكان تأثير الطاقة الحيوية على عملية الإنبات والنمو تأثيراً كبيراً.. كانت أصابعي السحرية (كما أسمتها زهرة) تكشف طيف البذرة وتصل إلى عناصر تخطيطها الفوري.. فتدفعها إلى العمل المنظّم الدقيق.. لتنتش وتنمو خالية من الضعف والمرض.. وفي أحد الأيام..

- اسمع يا بنيّ هذه الأسرار التي كشفتها مع زهرة، يجب أن تفيدا بها الناس، كثير من الفقراء يحتاجون إلى العون، وقد لا يملك المرضى منهم ثمن العلاج والتطبب، يجب أن تساعداهم..

- ولكن يا خالة.. قد يسبب لنا هذا مشاكل كثيرة.. أتتذكرين ما جرى لزهرة مع أولئك الأطباء..؟

- لن تخلو حياتنا من مشاكل بالطبع، ولكن الرسالة الخيّرة للإنسان، هي رسالة أشبه بأمانة أعطاها لنا الله عز وجل لنحسن استخدامها..

- معك حق يا أمي.. أناس كثيرون لا يملكون شيئاً يحتاجون إلى معونتنا.. هه.. ماذا قلت يا عبدو؟

- إن كانت هذه رغبتك يا زهرة.. فسننفذها معاً..

بارك الله فيكما يا ولديّ..

وهكذا بدأ عبد الإله وزهرة يعالجان المرضى بطرق متفوقة، عن طريق تركيز الطاقة وإعادة التوازن لمراكزها، وكذلك بعون الأعشاب المستنبتة بطريقة متفوقة..

وبدأت المشاكل تضايقهما وخاصة بعد أن شعرت زهرة بأعراض الحمل، وأصبحت لا تستطيع تركيز طاقتها كما كانت من قبل.. حيث كان المرض الذي يشفى بجلسة واحدة مع جرعة من منقوع الأعشاب الملائمة لعلاجه أصبح يستغرق أياماً وأحياناً أسابيع..

وهذا ما أضعف قدرتهما على العمل، وحين أصبحت زهرة متقدمة في الحمل أوقف عبد الإله عمليات علاجه، وبدأ الناس يضايقونه.. وفي أحد الأيام وكانت زهرة في شهرها السابع.. اعتدى بعض الصبية على والدة زهرة.. وساعدهم في ذلك بعض المشاكسين

- أنت أم الساحرة التي نفذ سحرها إلينا؟ هه..

- ابنتي ليست ساحرة، إنها عالمة حقيقية..

- عالمة بالسحر..

- ابنتي تعرف الطب والعلوم الطبيعيّة وهي ملمّة بمختلف المعارف..

- وهي مشعوذة خطيرة تسيء إلى الإنسان في بلدنا.. هي وزوجها وأنت أيضاً

- لا تظلمونا بهذا الكلام القاسي..

- سترون ما يمكن لنا أن نفعل حين نسحبكم، لتمثلوا أمام القانون وتحاكموا على جرائمكم..

سألهم - لماذا أنتم متهيجون هكذا؟..

- أنت شريك لزوجتك وأمها.. أعاننا الله عليكم، لماذا لا تتوقفون عن الشعوذة؟

- نحن لسنا مشعوذين، تأكدوا أننا لم نسئ إلى أي منكم، لماذا هذا الصخب والتهجم علينا؟ هذا لا يجوز..

- ستمثلون أمام القاضي جميعكم وتحاكمون

بأي تهمة؟

- تهمة الغش والدجل، حاولت كثيراً أن أعرف ما يجري أثناء جلسات معالجتكم للمرضى فلم أستطع.. ولكني متيقن أنكم تقومون بتنويم مرضاكم، والسيطرة عليهم، ليقعوا تحت سحركم..

- لا تظلمنا أيها الرجل..

- نحن لا نظلمكم هناك حقائق كبيرة تدينكم..

- أية حقائق؟ إنها حقائق تتوهم حدوثها.. وليست موجودة على الإطلاق.. أسمعت يا خالة؟

قالت أم زهرة: - أرجوكم يا ولدي أن تحتكموا إلى العقل، نحن لم نقم بعمل ليس مع المنطق العلمي..

ليتكم تفهمون..

وأخذت تنتحب باكية، سخروا من بكائها:

قال أحدهم ساخراً:

- لجأت العجوز لوسيلة البكاء.. لن يجديك هذا البكاء..

ردت عليه بغضب: - حتى أنت أيضاً؟ ألم نخلصك من مرضك الصعب في الشهر الماضي؟

- لم أكن أعرف أنكم تمارسون السحر..

- سامحك الله..

اقترب منّا رجل كهل وقال هامساً:

- دفعوا لهم المال ليقوموا بمضايقتكم.. إنهم أصحاب المشافي الخاصة..

- لا بأس.. سنتدبّر أمرنا..

- هل أخابر الشرطة

- لا.. لا داعي لذلك..

قال أحدهم - ماذا تقول له أنت؟ لماذا تهمس إليه في أذنه؟

- أقول له أن يحذر منكم، دفعوا لكم مبلغاً كبيراً وسأشهد بذلك أمام القاضي..

اتجهوا نحوه: - ماذا تقول أيها الوغد؟

أزاحهم بغضب: - الحقيقة.. ابتعدوا عن هنا..

- لن نتركك تضيع علينا جهودنا.. اهجموا عليه..

- ابتعدوا قبل أن أطلق النار، أترون مسدسي؟ أستطيع بثقة توجيهه نحوكم لأنكم لا تستحقون الحياة..

- لنبتعد، يبدو أنه جادّ في تهديداته..

- هيا لنبتعد بسرعة..

وفعلاً ابتعدوا عنا مرغمين وبسرعة كبيرة..

- شكراً لك يا أخي..

- لا شكر على واجب، أنا أحد تلامذة الصوفي يا سيدي.. هو من أرسلني لمساعدتكم..

- الصوفي؟ ولكنّ تلامذة الصوفي لا يستخدمون المسدسات..

- إنه مسدس لعبة.. يستخدمونه في المسارح للتمثيل.. خذه وتفحّصه..

- أنا آسف.. أسأت الظن بك.. تفضل بالدخول..

- لا داعي لذلك، أنا مقيم في مكان آخر، حين تحتاجون إلي ستجدونني بينكم بسرعة.. وداعاً..

ولم تؤثر هذه المضايقات على نفسية زهرة، فقد وضعت بنتاً جميلة انشغلت بها تماماً.. وأعطتها كلّ حبها وعنايتها، وفي هذا الوقت كنت أدرس بعمق تركيبات نباتية جديدة بمعونة الطاقة الحيوية، وقد توصلت إلى خليطة لها مفعول السحر على جميع أنواع الأمراض الفيروسية، إنها موضوعة على شكل معادلات

وتراكيب بمقادير معينة، في آخر المخطوط الصغير، آه.. لا أدري ما الذي يلحّ عليّ لأكتب ذلك في وريقات قد تتلف مع الزمن.. توقفت المذكّرات، وظهرت جمل غريبة، ورموز ومعادلات غير مفهومة، بدا وكأنها التركيبات التي تكلم عنها.. إن لينا ابنته تطلبها، هل يسلمها إليها، أم يذهب إلى المحقّق ويحكي له كل شيء؟

تردد كثيراً: «ولكنها أمانة يجب أن تسلّم إلى أصحابها، رجاني عبد الإله الحامدي، الذي قتل أمام عيني أن أسلم هذه الأمانة إلى ابنته. يجب أن أسلمها لها»

نهض هاني من رقدته، وارتدى ثيابه، وأخفى المخطوط بين طيّات قميصه، وهو يتشوّق لرؤية لينا الحامدي، ومعرفة سرّ هؤلاء الناس الذين يريدون المخطوط.. وقاموا بقتل والدها لأجله..

تمشّى قليلاً في الشارع الموازي لبيته، فشعر أن أحداً يلاحقه، وتأكد من ذلك حين حانت منه التفاتة جعلها غير مقصودة وراءه..

لا بد أن من يلاحقه هو أحد أفراد عصابة تلك المرأة الغريبة التي اقتحمت مع رجالها بحثاً عن المخطوط، ليلة أمس..

مشى هاني كثيراً، ثم دخل أحد المطاعم يتناول طعامه.. وبعد أن انتهى خرج من الباب الخلفي للمطعم جهة المطبخ وهو يعتذر من العمال.. تأكد أنه تخلص من الرجل الذي يتبعه.. فاتجه صوب المكتبة العمومية وقد اقترب موعده مع لينا..

كانت لينا كما أرادت في الرسالة أن يسلمها المخطوط بسريّة مطلقة، دون أن يكلمها، ولكنه كان مصمماً على الحديث معها ومعرفة الأجوبة عن بعض الأسئلة التي ما زالت ترهقه..

جلس في المكتبة يراقب الناس.. ليتأكد أن لا أحد يراقبه بدا له أن الجميع مستغرقون بقراءاتهم ومطالعاتهم

- سمع صوتاً خلفه: - الأستاذ هاني؟

وكانت صبية تضع شالاً أحمر حول رقبتها كما ذكرت في الرسالة..

همس: - آنسة لينا؟

- نعم.. أعطني المخطوط بسرعة يجب ألا نلفت الأنظار..

- أنا آسف.. هناك أمور كثيرة يجب أن تفسريها لي قبل أن أسلمك المخطوط..

- لست واثقاً من شخصيتي؟.. أنا لينا الحامدي أقسم لك..

- أنا أصدقك، ولكن يجب أن نتحادث.

- هناك (مقصف) قريب، ما رأيك أن نذهب إليه..

- لماذا ليس في (مقصف) المكتبة نفسها، هذا أفضل..

- كما تشاء..

انسحبا بهدوء إلى المقصف، تأملها كانت صبية جميلة تتمتع بشخصية فريدة:

- نعم يا أستاذ محمود، ماذا تريد أن أفتر لك..؟

- كيف عرفت شخصيتي دون أن نلتقي من قبل..؟

- نسيتَ أنني ابنة (عبد الإله الحامدي) أحد المتخاطرين المتفوقين، وأحد من يستخدم دماغه بشكل صحيح؟

- حسناً.. اسمعي يا آنسة لينا، قرأت مخطوط والدك بدقة، وقد توقفت مذكراته عند زمن معين، لم يفسر فيه ما جرى بعد ذلك، ولِمَ يلاحقونه، هؤلاء الناس الذين قتلوه قبل أيام؟

- مسكين والدي كان يسبق عصره بزمن كبير.. ولم يكن يظن بالناس ظنّ السوء، كان طيباً لدرجة أنه كان يندفع في سبيل الناس وخدمتهم مهما كانت النتائج.. وقد أحبه الفقراء، وأحاطوا به.. ومنعوا عنه الأذى من الحسّاد الذين انبهروا بعلاجاته المتفوقة..

- لماذا لم يقدم بحوثه للمراكز العلميّة ليستفيدوا منها؟

- أي مراكز علمية يا أستاذ هاني؟ خارج البلاد؟ كان يرفض ذلك تماماً وفي رأيه أن بلدنا تحفل بالأدمغة والإمكانات الهائلة، وأن سوء تقدير المتصرفين في أمور الحياة والتقدم، هو الذي جعل مشكلة هجرة الأدمغة قاعدة.. بدلاً أن تكون استثناء..

- حسناً، أكملي كلامك، حدثيني عن فترة حياته التي تلت ولادتك..

- انشغلت أمي بالعناية بي، وانشغل هو بمتابعة أبحاثه، وكان يتراسل تخاطرياً مع (الصوفي) ذلك الرجل الحكيم، ويقتبس منه الخبرة والإرشادات اللازمة لتكملة بحوثه.. وتحوّل والدي خلال سنوات إلى طاقة كبيرة من العطاء الحيوي العلاجي.. فأرسل أحد المتنفذين خلفه في أحد الأيام..

- أرسل خلفه؟ لماذا؟

- كان أحد أبنائه مريضاً وقد استدعى والدي إليه..

وجاء والدي إلى قصر ذلك الثري، وأعطى اسمه للخادم الذي طلب منه الانتظار، وأخذ والدي يتأمل البذخ والرياش الفاخر.

وجاء رجل بدا له متكبراً متعجرفاً سأله:

- أنت عبد الإله الحامدي؟..

- نعم.. أرسلت في طلبي؟..

- سأرى كيف ستعالج ابني، إنه مصاب في رئتيه..

- سيعينني الله في علاجه..

- تفضل.. تفضل، رافقيه يا أمينة..

- نعم يا سيدي..

كان شاباً منهكاً يكاد يموت، بدأ أبي يستخدم يديه وأصابعه السحرية في علاجه، وبعد نحو الساعة، نهض الشاب من رقدته، وقد تخلّص من آلامه.. بالطبع فوجئ السيد الكبير بذلك.. واستدعى والدي إلى مكتبه.. - اسمع أيها الساحر.. إن عاد ابني إلى مرضه، سأجعل كلابي تمزّقك..

- لست ساحراً أيها السيد، وقد تخلّص ابنك من مرضه إلى غير رجعة..

- عجز الأطباء الكبار عن علاجه، وأكدوا لي أنه سيموت، كيف شفيته، وأنت لم تقدم له عقاراً، استخدمت سحرك وتعاويذك..

- لا أسمح لك بإهاناتي أكثر من ذلك..

نهض والدي بغضب يريد الانصراف:

- إلى أين؟..

استدعى رجاله: - اقبضوا على هذا الساحر..

أوقفتهم أم الشاب: - لماذا تفعل ذلك؟ لقد عالج الولد.. الولد بخير الآن..

- إنه رجل معتز بنفسه، وشديد الوقاحة..

- ولكنه عالج ولدنا، يجب أن تراعيه، إذا عادت النوبات المرضيّة لولدنا، سنعيد العلاج من جديد..

همس إليها: - أنا أخيفه فقط، أريد أن يصبح تحت سلطتي..

- ولكنه رجل طيب مسكين..

- يجب أن يخضع لي تماماً..

استسلمت: - كما تشاء..

كان والدي يقرأ أفكار الرجل، وحين أوثقوا يديه وساقوه أمامهم تمكّن بقدرته التخاطرية على جعلهم يفكون وثاقه ويتركونه.. ويبدو أن ذلك المتسلّط المغرور كان يتعامل مع منظمة دولية لسرقة الأدمغة المتفوقة في البلاد، وهذا ما جعل أفراد تلك المنظمة يقومون بدور كبير في مطاردة أبي، وقتلوا أمي غيلة فهرب بي والدي إلى مدينة أخرى متخفياً باسم جديد وتابع بحوثه، وكنت قد كبرت، وأنا أشاركه بحوثه ودراساته.. كان قد كتب كل نتائجه في المخطوط الذي تحمله بين طيّات قميصك.. وطلب مني أن أحافظ عليه.. ولم أكن في المنزل حين اقتحموه، وهرب منهم واستخدم ملكته التخاطرية..

- انتبهي يا ابنتي، سيلاحقونك حتى يحصلوا على المخطوط تركت لكِ مالاً وفيراً لتقومي بأبحاثك المستقلة، وأقترح عليك أن تلجئ إلى مكان بعيد وتبني لك مختبراً تحت الأرض تمارسين فيه أبحاثك بعيداً عن الغدر..

كان همهم أبي في البداية ليتعاون معهم ويقدم إبداعاته لهم، ولكن شخصية أبي العنيدة الثابتة على الحق أرهقتهم، فرغبوا في الحصول على نتائجه، وقد علموا أنه وضعها في مخطوط صغير، قلبوا كل شيء بحثاً عنه دون نتيجة حتى هاجموا والدي، وقد تأكدوا أنه يحمل المخطوط في جراب صغير في صدره، فقتلوه للحصول على المخطوط حين تدخلت أنت..

- آه.. فهمت.. تريدين المخطوط الآن؟

- نعم أرجوك، هيا

سمعا جلبة في مدخل المقصف قالت بخوف: - لقد أتوا إلينا، عرفوا مكاننا..

- خذي المخطوط وأخفيه سريعاً.. سأشاغلهم.. اتصلي بي بانتظار رسالة منك..

- نعم.. نعم..

وخرجت الصبية بسرعة كبيرة.. من باب جانبي..

ورأى هاني نفسه محاطاً بمجموعة رجال:

- تعال إلى هنا..

- ماذا تريدون؟

- أين المخطوط أيها الوغد؟..

- أنا لا أعرف شيئاً.

- والفتاة التي كانت بصحبتك..

- إنها إحدى زائرات المكتبة، لم أرها من قبل..

- فتشوه جيداً

وفتشوه بقسوة ولم يعثروا على شيء معه..

- أمصر على إنكارك للمخطوط؟

- أي مخطوط.. قلت لك لا أعرف شيئاً..

وأنقذه منهم حضور الشرطة التي يبدو أن موظفي المكتبة طلبوها..

- هيا.. لنختف.. لن نتركك سليماً أيها الوغد إن تأكدنا أن المخطوط بحوزتك..

☆ ☆ ☆

انتظر هاني أن تتصل به لينا من جديد، كان يراها في الحلم كأميرة تعلق بها قلبه

ولكنها لم تأت.. حتى كاد ييأس.. استعاد الأحداث، التي بدت له كحلم.. وهو يسأل نفسه عن المكان الذي اختارته لينا للحياة.. هل يمكن أن يلتقي بها من جديد..

ظل هذا السؤال يعذّبه وما زال في قبوه الصغير غارقاً بين كتبه ومخطوطاته ودراساته المعمّقة.. حول القوى الخفية للإنسان.

المدينة الغامضة

قصتنا اليوم بدأت قبل عام.. (كان بطلها شاباً متفوقاً في برمجة الحاسوب، يشرف على إحدى الشركات الضخمة لاستيراد الحواسب، وهو كثير السفر، تعتمد عليه شركة إنتاج ذلك النوع من الحواسب كثيراً.. كان شاباً في الخامسة والثلاثين من عمره، حين بدأت قصتنا، كان واقعياً، يتعامل مع الأحداث ضمن أصول المنطق العلميّ، ولم يكن يحلم كثيراً، وكان يرى في الحلم منعكساً لما يحدث له، وللقضايا التي تشغله...

ولكنه في تلك الليلة من ليالي كانون أول ١٩٩٤م لم يكن هادئاً، وقد اشتد عصف الرياح وتسلّل البرد القارص إلى داخل البيت مما جعل (محمود) وهو اسم الشاب، يشعل أكثر من مدفأة في غرف البيت، وهو يشعر بالقلق والانقباض..

كان وحيداً، تأتي أمه أحياناً للإقامة عنده أياماً، ثم تعود إلى منزلها في القرية، كان وحيداً في تلك الليلة (يا إلهي ما الذي

يحدث لي، أشعر بانقباض وحزن شديد لسبب لا أفهمه.. آه، لا أستطيع النوم.. ماذا أفعل؟ سأخرج إلى الشرفة.. رغم أن الرياح تعصف في الخارج) فتح الباب فازداد صوت الريح.. (آه، إنها رياح باردة، ليتها تقضي على هذا القلق الذي أشعر به.. يا إلهي.. إنها الساعة الثانية بعد منتصف الليل ولا أستطيع النوم) تداخل صوت الرياح مع أنين كأن الريح تئن.. إنه صوت يبعث على الكآبة أيضاً.. (ويزداد صوت الأنين) هل هو صوت الريح، أم صوت أنين وتأوهات تنبعث من أعماق الليل..؟ من هذا الذي ألقته الدنيا المتعبة في هذه الليلة قارسة البرودة؟ أمعقول؟ الأنين ينبعث من خلف الشارع الرئيسي.. يجب أن أخرج لأتحرى الأمر، ربما كان أحدهم بحاجة إلى مساعدة.. فتح الباب.. كانت الرياح تعصف في الخارج (الصوت يصدر من ذلك المكان) كان صوت امرأة.. ممدّدة.. والدماء تنزف منها.. كانت بحاجة إلى إسعاف..

- سأدخلها وأتصل بالإسعاف.. لم تكن معها حقيبة ولا شيء تحمله.. ترى ما الذي سبب إصابتها..؟ ونقل محمود المرأة المصابة إلى شقته في الطابق الثاني، كانت إصابتها في الرأس.. تتأوه دون أن تعي.. حاول إيقاف الدماء المتدفقة بالضغط على الجرح، ورفع السماعة واتصل بأحد أصدقائه الأطباء.. استيقظ الدكتور

حامد من نومه على صوت هاتف محمود.. وشعر بغرابة الموقف، فاستقل سيارته واتجه صوب بيت صديقه.. كان محمود يتأمل المرأة التي كانت تتأوه..

- تبدو امرأة في الخامسة والثلاثين من عمرها ترتدي ثياباً شتوية سميكة، ومعطفاً واقياً من المطر (تتأوه المرأة) مسكينة، كيف حدث، وألقيت هنا في هذه المنطقة الكئيبة من حيّنا؟.. يبدو أنها ستستيقظ.. فتحت المرأة عينيها - أين أنا؟ آه..

- لا تخافي أنت في أمان..

- آه يا رأسي، يا إلهي، ماذا حدث لي؟ من أنت؟..

- أنا أعمل في هندسة الكومبيوتر، سمعت صوت تأوهاتك في الليل فخرجت لأراك ممددة في الشارع والدماء تنزف منك.. لا تقلقي سيأتي الطبيب بعد دقائق لمعاينتك..

فَكَّرَتْ (يا إلهي.. لا أذكر شيئاً مما حدث لي) ورن جرس الباب، ففتح محمود الباب، كان الطبيب نفسه

- إنها الثالثة إلاّ ربعاً يا محمود.. هه.. أين مريضتك؟

- تفضل، إنها في الداخل (يغلق الباب - خطوات) (المرأة تتأوه) إنها مصابة في رأسها، لا تتذكر شيئاً..

- كيف عثرت عليها؟

- إنها حكاية غريبة.. أحسست بالقلق والتوتر، ولم أستطع أن أنام، فخرجت إلى الشرفة أتنسم الهواء، رغم البرد الشديد، فسمعت تأوهاتها المختلطة مع صوت الريح.. كانت ملقاة على رصيف الشارع، والدم ينزف من رأسها.. هه.. هل إصابتها خطرة..

- يبدو جسمها متناسقاً أشبه بجسم عارضة أزياء، وملابسها غريبة بعض الشيء، ألا ترى البنطال المشدود على ساقيها، والرداء الذي ترتديه أيضاً؟..

تأوهت المرأة وهي تتأمل من حولها.

- إنه الطبيب يا سيدتي..

- آه.. رأسي يكاد ينفجر، أين أنا؟..

- قلت لك أنت في أمان.. لا تقلقي..

- آه.. ما الذي حدث؟ كيف جئت إلى هنا.. لا أذكر شيئاً..

- كما قلت لك، كمن فقدت الذاكرة.. هه.. ماذا أفعل في رأيك، هل أتصل بالشرطة؟ أو هل أنقلها للمستشفى مباشرة..؟

- لا أعتقد أن اتصالك بالشرطة منطقي.. ربما من الأفضل أن تنقلها إلى المستشفى، ولكن ماذا ستخبرهم؟ هل رأيت شيئاً يدل على هويتها..

- لا.. أبداً..

- اسمع يا محمود، أنت صديقي، ولا أريدك أن تتورط في قضية هذه المرأة المجهولة.. قد يكون هناك سرّ غامض، قد يسبب لك الإزعاجات فيما بعد..

- سرّ غامض؟ ما الذي تقصده؟..

- ربما كانت العملية جريمة سطو أو سرقة، أو ربما لأسباب أخرى لا نعلمها، المهم حاول أن تتخلص منها بأية طريقة..

- هل تعني أن أنقلها إلى المستشفى؟..

- نعم.. وسأساعدك في ذلك، سنقول لهم إننا عثرنا عليها على جانب الطريق وقد أجريت لها بصفتي طبيباً بعض الإسعافات الأولية، ثم نقلتها إلى المستشفى لتتكفل بالباقي..

- فكرة لا بأس بها، هل سننفذها فوراً؟

- نعم.. لا داعي للانتظار حتى الغد..

همس له: الخلاص منها بسرعة أفضل من تركها حتى الصباح، قد تستيقظ ذاكرتها، ويحصل مالا يحمد عقباه.. نحن لا نعرف عنها شيئاً، ربما كانت متورطة في قضية، وربما ورطتنا معها..

- معك حق.. فَكّر: - سأسايره لأنه واقعي في تحليلاته، رغم أسفي لأنني سأنهي هذه المغامرة بأسرع مما توقعت..

همس حامد: - تبدو متردداً؟.. هل تعجبك؟

رد محمود: - هي جميلة بالطبع، ولكني متفق معك على ضرورة نقلها إلى المستشفى..

- إذن هيا بنا..

- تعالي يا سيدتي، أنت تحتاجين إلى علاج سريع، حالتك ليست على ما يرام

- آه.. رأسي يؤلمني.. لا أستطيع السير.. كيف يمكنني الاعتماد على نفسي، أبدو في وضع مقيت لأول مرة في حياتي..

- هل بدأت تتذكرين شيئاً؟..

- آه.. اسمي (رندا) هذا هو ما أعرفه.. كأن ضباباً يخيم على ذاكرتي (تبكي)

- لا داعي للبكاء.. تعالي سأساعدك..

حاولت الوقوف فلم تستطع:

- لا أستطيع الوقوف.. آه.. صرخت بهلع، سألها محمود:

- هل أحضر نقالة، أحتفظ بواحدة كنت أنقل عليها أغراضي الثمينة المتعلقة بالحاسوب..

قال حامد - لا داعي لذلك، ثم همس: ليست ثقيلة، احملها كما حملتها حين أحضرتها إلى هنا

- قد تمانع..

- لا أظن.. جرّب..

اقترب منها محمود بلطف:

- تعالي سأحملك بين يديّ إلى السيارة..

- آه.. أشعر بألم في كل أعضاء جسمي.. قد أتعبك؟ لم تقل لي ما هو اسمك

- اسمي محمود، وهذا صديقي الدكتور حامد.. تعالي سأحملك..

حملها بين ذراعيه همست - آه يا إلهي.. رأسي يؤلمني..

قال حامد: بهدوء، يا محمود..

نقلا المريضة من السيارة إلى قسم الإسعاف:

سألتها الممرضة - هل أنتم أهلها؟

- لا.. عثرنا عليها على الرصيف، كانت فاقدة الوعي، والدم ينزف من رأسها، أجرينا لها الإسعافات الأولية، ثم أحضرناها إلى هنا

- ما هو اسمها؟

قال محمود - قالت لي إن اسمها رندا ولا تتذكر شيئاً غير ذلك..

- أليست تحمل شيئاً ينبئ عن هويتها؟..

- لا.. لم يكن لديها أي شيء.. ربما تعرضت لعملية سطو..

قال الطبيب المناوب - على كل حال، سنأخذ بعض المعلومات منكم.. ليكتب كل منكم اسمه وعنوانه، وليسلمني بطاقته الشخصية..

- تفضل.. ولكن لماذا هذا الإجراء؟

- إنه إجراء شكلي.. لا تقلق من هذه الناحية.. وأنت أعطني بطاقتك..

قال محمود - إنه الدكتور حامد جرّاح الدماغ الشهير.. ألم تعرفه؟

- أنا آسف يا دكتور.. لَمَ لم تقدم لي نفسك.. أنا شديد الأسف.. تفضل البطاقة..

- لا بأس.. لنذهب يا محمود، هيّا..

- تصبح على خير يا دكتور.. أرجو المعذرة..

- تصبح على خير..

خرجا من المستشفى، قال محمود وهما يقتربان من بيته:

- إنها الرابعة والنصف، هيا معي، سنشرب القهوة ونتحدث..

- لدي عمليات في الصباح.. سأذهب إلى النوم الآن..

- أنا آسف لإزعاجي لك..

- لا بأس.. تصبح على خير.. تحركت سيارة الدكتور حامد مبتعدة

توقف عصف الرياح، وظلّ المطر يهطل بزخات قليلة

رأى محمود وهو يقترب من البيت رجلاً يدور في المكان الذي عثر فيه على رندا، بدا رجلاً كبيراً في السن.. غريب الهيئة.

اقترب منه محمود - أتبحث عن أحد يا عم؟..

- آه.. نعم.. فقدت شيئاً ثميناً هنا؟

- أموال؟ أم..؟

- فقدت ساعتي.. سقطت من يدي هنا، ولم أستطع العثور عليها بعد.. إنها ساعة ثمينة، وتحمل ذكرى عزيزة على قلبي..

- هل أساعدك؟

- لا.. لا.. لا بأس.. بالتأكيد سأعثر عليها.. شكراً لك..

فكر محمود «إنه يتظاهر بالبحث عنها في الأرض» سأله الغريب:

- هل تسكن هذه الناحية؟

- نعم.. بيتي في البناء المجاور.. لماذا تسأل؟..

- لا.. لا.. لا شيء.. أستغرب وجودك في مثل هذه الساعة المتأخرة..

- كنت في سهرة وتأخرت، ولكن ماذا تفعل هنا يا عم؟ لست من ساكني الحي كما أعتقد..

- أنا غريب فعلاً.. كنت أتجول في المنطقة وقد فقدت أثر أصحابي الذين رافقوني إلى هنا.. أنا أنتظر عودتهم، تصوّر فقدت ساعتي وأنا أنتظرهم..

- إن كنت تشعر بالبرد، يمكنك المجيء معي إلى البيت، بيتي قريب جداً كما قلت لك..

- لا.. لا.. لا داعي.. شكراً لك يا بني..

على كل حال أنا في الطابق الثاني، إن غيرت رأيك يسرني أن أستقبلك..

- لا بأس.. أشكرك على أريحيتك..

فكر محمود: «يبدو غريباً فعلاً.. أنا متأكد أنه يبحث عن المرأة، وأن له علاقة مباشرة بالحادثة.. ولكنّ منظره الهادئ ينبئ أنه ليس شريراً..

أرجو أن تسترد (رندا) ذاكرتها وتكتشف سرّ وجودها هنا وإصابتها.. يجب أن أنام الآن، أشعر بالتعب» دخل إلى المنزل وقد هدّه التعب..

تثاءب وهو يتمدد في فراشه:

«آه يبدو أنني متعب جداً وغفا سريعاً، ورأى نفسه يسير في شارع عريض تحفّ به الأشجار من الجانبين، لم ير سيارات أو عربات فيه، الناس يسيرون في وسطه مقسّمين إلى مجموعتين، مجموعة ذاهبة ومجموعة عائدة.. وفجأة لمح (رندا) تقترب منه مستغربة:

– ماذا تفعل هنا يا محمود؟ أتنوي زيارة المكتب المركزي للحاسوب؟ أنا أعمل هناك، يمكنني مساعدتك..

– لا بأس.. سأذهب معك.. أتعلمين هذه أول مرة أرى فيها مدينتكم.. تبدو مدينة غريبة تماماً..

لم أرَ سيارة حتى الآن..

– السيارات غير موجودة عندنا نحن نتحرك بقدراتنا الذاتية..

– قدراتكم الذاتية، ماذا تقصدين؟

– هه.. انظر هناك، كم تقدر المسافة بيننا وبين تلك الشجرة؟

– نحو (ثلاث مئة) متر..

– سأنتقل إلى هناك، انظر..

(يا إلهي، كأنها تطير بلمح البصر.. إنها تظهر هناك قرب الشجرة.. إنها تشير إلي أن ألحق بها.. كيف؟ لا أستطيع الانتقال

بهذه السرعة.. سأركض نحوها، تبدو المسافة بعيدة).. وصل إليها وهو يلهث:

- لَمَ لم تجرب طريقتي في الحركة؟..

- كيف؟ تبدو المسافة مستحيلة بالنسبة إلي..

- سأعلمك.. ضع الرغبة في داخلك، وصمم على فعلها.. قرّر ذلك وطبقه دون تردد.. هيا..

- أمعقول أن أستطيع استخدام ما تسمينه قدرتي الذاتية..

- جرّب اللحاق بي وستنجح..

- كيف.. أنت تنتقلين أسرع من البرق، يا إلهي، إنها تختفي، هه.. ما الذي يحدث لي، أنا أطير.. أطير.. يا إلهي..

استيقظ وهو يلهث:

«آه يا إلهي.. ما هذا الحلم الغريب.. كنت كأنني أرتفع في السماء ورندا إلى جانبي.. إنها الساعة الثامنة والربع، يجب أن أذهب إلى المستشفى للاطمئنان عنها، قبل أن أذهب إلى العمل»
- صوت رنين جرس الباب - يبدو أن حامداً قد أتى ليصطحبني إلى المشفى..

فتح الباب فطالعه وجه أمه العجوز:

- صباح الخير يا بني.. خفت ألا أراك هنا.. نسيت إحضار المفتاح معي..

- تفضلي يا أمي.. لمَ لم تتصلي بي لأحضرك بسيارتي؟

- لا بأس يا بني، المواصلات سهلة ومتوفرة.. لا أريد أن أزعجك.. رأيت جمعاً أمام البناء قرب الشارع..

- جمعاً من الناس؟ لماذا؟ هل هي مشاجرة؟

- لا تبدو كذلك.. إنهم مجموعة رجال غريبي الأطوار يقيسون في الأرض..

- يقيسون في الأرض في هذه الساعة، كيف؟

- والله لا أدري.. هل شربت القهوة؟

- ليس بعد..

- سأحضر لك القهوة، وأجهز الإفطار..

فكر محمود «مجيء أمي لزيارتي قد يؤخر عملية اكتشافي لسرّ المرأة الغريبة القابعة في المستشفى.. ولكن لا بأس..»

تناول القهوة ثم جلس مع والدته على مائدة الإفطار، وبعد خروجه من البيت لمح تجمعات غريبة لأناس لم يرهم من قبل، وجوههم غريبة عن وجوه أهالي الحي..

اقترب منهم: - خير يا جماعة ما الذي يحدث؟..

قال أحدهم: - ظاهرة غريبة لم نستطع تفسيرها حتى الآن.. تبدو مستحيلة لا تصدّق..

سأل مستفسراً: - خير، ما الذي حدث؟..

قال الغريب: - رأينا قبل قليل شيخاً متقدماً في السن يجلس هنا، تبادلنا معه الحديث، وفجأة اختفى من أمامنا.. وظهر في مكان بعيد عنّا.. ونحن نحادثه.. رأينا الحادثة أنا وهذا الرجل

- معقول؟ كيف ينتقل إنسان بهذه الطريقة؟

قال آخر: - وأنا أيضاً رأيته، لقد اختفى كأنه لم يكن موجوداً ثم ظهر على بعد (ثلاث مئة) متر.

فكر محمود:

(أمعقول أن يكون هو الشيخ نفسه الذي رأيته أمس، وهو يبحث في المنطقة التي أصيبت بها رندا؟ يا إلهي، ذلك الانتقال العجيب من مكان إلى آخر أشبه بالانتقال الذي رأيته في الحلم.. كانت (رندا) تطبقه.. يا إلهي) كان محمود محتاراً فيما يجري، استعرض وهو في طريقه إلى المستشفى، تفاصيل ما حدث في تلك الليلة، انقباضه وتوتره وإحساسه بالقلق، خروجه إلى الشرفة رغم البرد والجو العاصف، سماعه للأنين المختلط مع صوت الريح، ثم عثوره على المرأة الجريحة، واتصاله بالدكتور حامد ونقلها إلى المستشفى..

كانت تبدو غريبة حتى بلباسها، ثمة شيء غامض لم يستطع كشفه بعد، وراء هذه المرأة، ثم ذلك الشيخ الغريب الذي أكّد له الناس أنه ينتقل من مكان إلى مكان بطريقة مذهلة..

كان في طريقه يقود سيارته وسط زحام سيارات الموظفين المتجهين إلى أعمالهم، حين لمح ذلك الشيخ يسير على الرصيف المقابل وسط الناس..

(إنه يتجه باتجاهي نفسه، سأوقف السيارة وأعرض عليه المساعدة.. أوقف السيارة)

– أتريد أن أساعدك يا عم؟.. أيمكن أن أقلّك إلى المكان الذي تقصده؟

– آه.. شكراً لك..

– إلى أين أنت ذاهب؟

– إلى مستشفى قريب من هنا..

– ربما كان المستشفى نفسه الذي أتجه إليه.. رأيتك هذا الصباح، كنت تفتش عن ساعتك.. هل وجدتها؟

– لا ليس بعد..

فكر.. «سأرى علاقته بـ (رندا) سأحكي له ما جرى معنا أمس»

– أرجو ألا أؤخرك يا بني..

– لا.. أبداً – قد يكون المكان الذي أتجه إليه هو المكان نفسه الذي تقصده..

– أنت ذاهب إلى المستشفى القريب أيضاً؟

- نعم.. عثرت في الليل على امرأة مصابة على الرصيف المجاور للبناء الذي أسكن فيه، كانت فاقدة لوعيها والدم ينزف من رأسها..

- كيف كان شكلها؟

- صبية في منتصف عقدها الرابع.. ترتدي لباساً رمادياً..

- ألم تتكلم أبداً؟

- قالت: إن اسمها رندا ولا تتذكر شيئاً سوى ذلك.. هه.. هل عرفتها؟

تنهد الشيخ بلهفة: - إنها ابنتي، فقدناها أمس، ولم نستطع العثور عليها..

- كيف فقدت؟

- خرجت غاضبة، اعتقدنا أنها نوبة غضب آنية لا تلبث أن تعود، ولكن الوقت مرّ سريعاً، ولم تعد ابنتي.. خرجت أبحث عنها في كل مكان.. ولمحت في ذلك المكان الذي رأيتني فيه أثراً من آثارها.. هذا الزّر.. إنه زر كبير.. هل هو من معطفها الذي كانت ترتديه؟

- نعم

- وتظاهرت بأنك فقدت ساعتك.. كنت تبحث عن آثار أخرى منها؟..

- لا يا بني.. فعلاً فقدت ساعتي، وهي وسيلتي في البحث.. هي التي تتبعت فيها آخر مكان وجدت فيه رندا

- لم أفهم.. كيف تستدل بساعتك على آثار ابنتك وأماكن وجودها..

- أنت تعمل في هندسة الحاسوب، يمكنك أن تفهم ما أحكيه.. الساعة جهاز حاسوب متطور، يمكن برمجتها على ملاحقة موجة معينة.. كل الأجساد الآدمية تبث خلاياها النشطة أمواجاً خاصة بها.. وكذلك الحال جسد (رندا) ابنتي.. كنت أمسك الساعة بيدي أفتش عن آثار أخرى، حين لمحت سلحفاة مختفية داخل درعها، كانت سلحفاة صغيرة منكمشة من البرد، وفجأة أخرجت رأسها من درعها الصلب، ومدّته في اتجاه الساعة التي أحملها، كان ذلك مفاجئاً لي تماماً، أصبت بالرعب..

- وسقطت الساعة منك؟

- نعم.. خفت أن تكون السلحفاة مبرمجة أيضاً على اللحاق بي ومتابعتي.

- سلحفاة مبرمجة؟ اسمع يا عمّ، كل ما ترويه يبدو غريباً عن عالمنا.. حتى إن الناس الذين تجمعوا في الصباح قرب البناء الذي أسكنه، حكوا عنك أنك تنتقل من مكان إلى آخر بسرعة خارقة.. أرجوك أوضح لي ذلك.. يبدو الأمر مبهماً وغامضاً..

- نحن لسنا من عالمكم يا بني.. نحن متطورون عنكم كثيراً..

- ماذا تقول يا عم؟ هل أنتم من كوكب أخر..

- لا ليس إلى هذه الدرجة.. نحن بشر مثلكم تماماً ولكننا متطورون عنكم.. لدينا التقنية الكافية لحل مشاكلنا مهما استعصت..

- وكيف عرفت أنّ (رندا) في المستشفى؟

- حين أبعدت السلحفاة الصغيرة، وعدت أبحث عن ساعتي المفقودة عثرت عليها، واستطعت بوساطة جهاز التتبع معرفة أين توجد.. كانت الشاشة الصغيرة في الساعة قد أرتني (رندا) راقدة في سرير أبيض في مكان حددت مسافته بدقة..

- يبدو الأمر أشبه بحلم..

- ليس حلماً يا بني، إنه حقيقة، ربما تبدو غريبة عن عالمكم، ولكنها حقيقة..

- هه.. وصلنا المستشفى، تفضل أنا ذاهب للاطمئنان عن ابنتك أيضاً..

- هبطا سوية إلى قسم الإسعاف، همس له الشيخ بقلق:

- قد أتعرض لأسئلة لا أستطيع الإجابة عنها..

- لا تقلق من هذه الناحية.. تفضل ندخل من باب الإسعاف..

اتجه محمود نحو مكتب الممرضات:

- صباح الخير يا آنسة.. هل يمكنني أن أرى المريضة؟

- صباح الخير، الدكتور حامد في الداخل مع الطبيبة المسؤولة، من أنت؟ هل هي قريبتك؟

- نعم.. وهذا هو والدها..

- لها تصرفات غريبة.. ربما أثر الإصابة، يمكن أن أطّلع على البطاقة الشخصية لكل منكما..

- ها هي بطاقتي تفضلي.. العم هنا نسي بطاقته في المنزل..

- أرجو المعذرة يا ابنتي..

وأكمل محمود - كان متلهفاً لرؤيتها، ولم ينتبه لإحضار البطاقة الشخصية..

- لا بأس يمكنكما الدخول..

كان الدكتور حامد يتناقش مع الطبيبة:

- ماذا تقولين يا دكتورة؟ نشاط دماغي غير عادي..

- نعم.. انظر إلى شريط تخطيط الدماغ يبدو مذهلاً فعلاً..

- غريب فعلاً.. هذه المنحنيات المنتظمة المتطاولة.. ليست عاديّة.. هه.. وما هو رأيك بحالتها..؟

- يبدو عليها الذهول، كأن كل ما حولها غريباً عنها.. لا

تزال تفقد الكثير من ذكرياتها.. حاولت أن أحادثها، لم تتجاوب معي..

- ربما احتاجت إلى صدمة كهربائية..

- الصدمة تشكل خطراً عليها، هي في هذه الحالة، جرحها عميق، خاطه الجرّاح أمس بصعوبة..

كانت رندا تتأوه: - يبدو أنها تستيقظ..

- آه يا رأسي.. أين أنا؟ آه..

- أنت في المستشفى، لا تقلقي، حالتك على ما يرام..

- آه.. كأنني رأيتك من قبل.. أنت من رافقني إلى هنا..؟..

- نعم.. وهذه هي الطبيبة المسؤولة مباشرة عن حالتك..

- أخبريني، أرجوك، متى أستطيع الخروج؟

- عندما تتحسن حالتك بالطبع.. تحتاجين إلى علاج وراحة بعض الوقت..

أجهشت بالبكاء: - سيسبب مكوثي هنا الكثير من المشاكل..

- خففي عنكِ، الانفعال يضر بصحتك..

همست الطبيبة: - سأعطيها حقنة مسكّن لتنام، إنها بحاجة لذلك

دخل أحد مساعدي الطبيبة وهمس لها:

رقم ١٢٠٣٣٥ ٢

دار الفكر

للطباعة والتوزيع والنشر

آفـــاق معرفة متجددة

سـورية - دمشـق - مقابل مركز الانطلاق الموحـد

ص.ب 962 - فاكس 2239716

هـاتف 2211166 - 2239717-232 fikr

المرسـل ....

الـدولـة .... المدينة ....

الشـارع .... المنطقة البريدية ....

ص ب .... فاكس ....

هـــاتف ....

بريـد إلكتروني ....

رقم الحسـاب في بنك القارئ النهم ....

استبانة القارئ

- تاريخ الولادة:.................... المهنة: ....
- المؤهل العلمي: □ إعدادي □ ثانوي □ جامعي □ فوق الجامعي
- رتب الموضوعات بحسب أهميتها لك: □ تاريخية □ دينية
  □ علمية □ فلسفية □ أخرى اذكرها.............................
- علمت بهذا الكتاب عن طريق: □ إعلان □ معرض □ صديق
  □ مكتبة □ مندوب □ عروض بنك القارئ
- ما رأيك في الكتاب من حيث:
- الموضوع: □ مهم جداً □ مهم □ غير مهم
- المستوى: □ تخصصي □ ثقافي □ عام
- الغلاف: □ مميز □ وسط □ ضعيف
- الإبداع الفكري: □ جيد □ متوسط □ ضعيف
- الأخطاء المطبعية: □ كثيرة □ قليلة □ لا توجد
- عند إرسال بطاقة بنك القارئ النهم، تصبح مشتركاً في البنك، وهذا يتيح لك فرصة الحصول على عروض بالكتب الصادرة حديثاً، وبحسم خاص للمشتركين عند الشراء. كما يسجل للمشترك رصيد مقابل إرساله لهذه القسائم يمكن أن يأخذ مقابله كتباً مجانية. ويتم إعلامه بالندوات والمحاضرات والمعارض التي تقيمها الدار..
- تقدم الدار جائزة سنوية لأكثر القراء نقاطاً وأكثرهم قسائم مرسلة.
- اقتراحاتك تساعدنا على تطوير عملنا.

- حضر حارس المقبرة يا سيدتي..

ردت هامسة: - حاول الاحتفاظ به لبضع دقائق سآتي حالما أنتهي من المريضة هذه

- حسناً يا سيدتي..

خرج الرجل: - ما هو رأيك بحالتها يا دكتور حامد؟

- أعتقد أنها ستستعيد ذاكرتها، حالما يخف أثر الجرح.. تحتاج فعلاً إلى راحة..

صرخت رندا - لا.. لا.. أرجوكِ لا أريد هذه الحقنة، إنها مؤلمة..

- إنها ضرورية لكِ يا رندا، لن أؤلمك..

خرجت الطبيبة بعد دقائق لتقابل حارس المقبرة، كان رجلاً كهلاً حدّق فيها بخوف وقلق،

سألته مهدئة:

- قل لي كيف عثرت عليه؟

- كنت أرقد في الليل، والرياح العاصفة تطلق أنّاتها التي بدت لي غريبة في تلك الليلة، كأنها تختلط مع أصوات تأوهات وأنين..

- نعم.. وماذا حدث؟ أعطني الخلاصة..

- سمعت صوت سقوط جسم.. قرب الباب.. نهضت من فراشي الدافئ، والخوف يسيطر عليّ، ربما لأول مرة، وحين فتحت الباب، وجدته ملقى على بعد مترين وهو يتأوه.. كان أشبه بمن خرج من القبر.. أدخلته ورأيت الدماء تنزف من رأسه.. كان منظره مؤسياً.. كان يرتدي لباساً رمادياً، وحوله رداء ملفوف حول جسمه.. والدماء تنزف فوقه.. لدرجة أرعبني منظره..

- حملته وأتيت به إلى هنا؟.. وماذا رأيت أيضاً؟

- حين عدت من هنا بعد إحضاره وتسليمه لقسم الإسعاف.. وليس في جيبه ما يدل على هويته، عدت أفتش بين القبور علّي أجد قبراً مفتوحاً خرج منه الرجل كما كنت أخمّن فلم أرَ شيئاً.. ولكن من أين جاء؟

وكيف جاء هكذا، وباب المقبرة مغلق بالمفتاح.. وسورها عال..

- لا بأس.. لا بأس..

- أتريدين شيئاً آخر يا دكتورة؟

- لا، شكراً

قالت لمساعدها هامسة: - أعطه بعض المال.. سأسدّده لك فيما بعد..

- سأفعل يا دكتورة.. تعال.. تعال يا عم.. طلبت الدكتورة مني أن أمنحك مكافأة على تعاونك معنا..

وتقول: إنها ستزيد مكافأتك، كلما أحضرت لها شيئاً جديداً له علاقة بهذه القضية الغامضة.. (خطوات + فتح باب)

- شكراً لك..

- مع السلامة..

فكّرت الطبيبة بقلق وهي تتجه نحو المريض المجهول:

«حكاية غريبة فعلاً..»

نبهتها الممرضة: - دكتورة بدأ المريض يستيقظ..

- جهّزي سائل الإنعاش..

- إنه جاهز.. تفضلي..

- ساعديني في الكشف عن يده.. يبدو قميصه مشدوداً على رسغه..

هه.. فعلاً إنه مشدود تماماً..

همهمت الطبيبة: - هكذا أفضل..

فكرت: «أليست له علاقة بتلك المرأة الغريبة فاقدة الذاكرة؟ يبدو الأمر غامضاً تماماً»

☆ ☆ ☆

سمحت الممرضة المناوبة لمحمود والشيخ بالدخول لرؤية رندا

نبهه محمود: - انتبه جيداً، قد تثير فضول الناس..

- لا تقلق يا بني..

كان الدكتور حامد يجلس قربها:

سأله محمود: - كيف حال مريضتنا اليوم..

- ما زال وضعها مقلقاً.. لم تسترد ذاكرتها بعد

همس يسأله: - من هذا الكهل الذي يصحبك؟

- إنه والد رندا.. حكايته غريبة..

- ماذا تقول؟..

- سأحكي لك كل شيء فيما بعد.. يا إلهي، انظر إليه، إنه يتأمل وجهها بحبّ لا يوصف.. ألا ترى.. عيناه تبرقان؟

- منظره غير عادي وهو يرتدي هذه البزّة الغريبة أيضاً

قال محمود: - إنها نائمة الآن.. هل أعطيت حبوباً مهدّئة؟

- كانت تتألم من رأسها.. وقد رأيت أنه من الأنسب أن ترتاح، أعطتها الطبيبة حقنة مهدئة.. لن تستيقظ قبل ساعتين على الأقل..

- إن أردت يمكنك البقاء هنا يا عم حتى تستيقظ..

كان الشيخ يحدق بالفتاة حزيناً: - مسكينة يبدو أنها تعذَّبت كثيراً..

سأله محمود - كيف حدث وأغضبتموها هكذا حتى خرجت منزعجة، وتعرّضت لذلك الحادث الغريب.. وكيف حدث لها ذلك الحادث؟ من هو المعتدي؟ أم هل ضربتها سيارة بالمصادفة؟..

- إنه حديث يطول شرحه.. يا بني.. قلت لك: إننا غريبان عن عالمكم أنا و (رندا).. لسنا من كوكب آخر، نحن نعيش فوق هذه الأرض ولكن..

- ماذا؟ لماذا تتردّد في الحديث بصراحة إلينا يا عمّ.. نحن نتفهّم ما يمكن أن تحكيه لنا حتى لو كان آية في الغرابة.. المهم يجب أن نعرف الحقيقة..

- ماذا أستطيع أن أقول لك.. إنه أمر غريب بعيد عن التصديق..

- كيف؟.. أرجوك أوضح لنا يا عم..

- ليتني أستطيع نقل الصورة على حقيقتها.. ولكن لا بأس.. سأحاول..

همس حامد: - يبدو كلامه غريباً.. ما الذي يقصده بهذه العبارات؟

قال محمود: - انتظر يا حامد.. دعنا نسمع لما يقوله..

تابع الشيخ متنهداً: - نحن نعيش في مدينة (ألِف) إنها مدينة صغيرة تقع على خط الزمن، ليست بعيدة عن هنا كثيراً، ولكنها في زمن يختلف عن زمنكم.. كيف حدث وأصبحت المدينة هكذا؟ لا أعلم.. كل ما أعلمه أن أهالي المدينة قد عاشوا في عزلة شديدة عن العالم الخارجي لسنوات طويلة، لم يكونوا يستقبلون أحداً، ولم يخرج أحد منهم من المدينة لملاقاة الناس في العالم الخارجي.. اعتدنا على هذه الحياة، وتوارث الأبناء عن الأجداد هذا الشكل المتواتر ذا الإيقاع الراتب من الحياة الهادئة المنعزلة.. حتى كان ذلك اليوم..

☆ ☆ ☆

- لماذا تسعى للخروج من هنا يا بني؟ ليس الخروج سهلاً عليك، أنت لا تعرف عن العالم الخارجي شيئاً قد يشكل الأمر وبالاً عليك..

- كدت أختنق يا أبي، أشعر أنني في سجن بغيض في هذه المدينة الواقعة على حافة العالم..

- ولكن الأمر ليس سهلاً، إنه عمل مخيف.. حاول أن تهدئ من اندفاعك..

- ليتني أستطيع يا أبي.. لقد اتخذت قراري ولا رجعة فيه..

كما تشاء حاول ألا تجعل أمك تشاهدك وأنت ترحل، سيكون قاسياً عليها..

- إلى أين سيذهب؟ أراه وقد حزم أغراضه..

- آه يا أخي العزيز، سيرحل عن المدينة..

- مستحيل، لا يمكنه الرحيل عنها.. سيموت..

- ليتك تستطيع إقناعه يا أخي؟..

- ولماذا نحاول إقناعه ما دام لن يستمع إلينا، يجب أن نمنعه من تنفيذ رغبته بالقوة..

- فات الأوان يا عمّاه، لم يعد أحد يستطيع منعي من المغادرة، لقد اتخذت قراري..

- يا بني، لا داعي لهذه المغامرة الطائشة، قد يسبب لك ذلك مشاكل أنت في غنى عنها..

- لا تقلق سأكون بخير.. لن أتراجع عن قراري..

- تريد أن تقتل والدتك؟ لن أسمح لك بهذا أبداً..

- أرجوك يا عماه، لا تحاول التدخل، إنه أمر يخصني..

- كيف يخصك ما دام يتعلق بالآثار التي سيخلفها على والديك؟.. أنت مغرق في الأنانية..

- كيف تتهمني بالأنانية، وقد فعلت الكثير لأخدم الناس في المدينة.. أنت نفسك تعرف مدى ما بذلته من جهد، حتى أوصلني ذلك إلى أن أصبح مريضاً مفؤوداً محطماً، أحمل هذه العاهة الدائمة في رجلي.. (بحزن) أنا ذاهب يا عمّاه لأبحث عن مهرب يخلصني من حياتي الراتبة المملّة..

- ربما كنت محقاً في بعض ما تقول، ولكن والدتك تعوّدت على الحياة وأنت إلى جانبها، إنها تحبك حباً يفوق الوصف، كيف ستتحمل فراقك هكذا..

- سأحاول أن أعود، أعدك يا عمّاه.. فقط من أجل والدتي..

- لن تستطيع العودة مع الأسف، أنت لا تعرف طريق العودة، ستذهب ولن تعود، كما ذهب أناس كثيرون ولم يعودوا..

- لا تجعل المسألة تبدو بائسة هكذا.. أرجوك يا عمّاه..

- اتركه يذهب، لو بقي هنا سيتعبنا كثيراً..

- ووالدته؟ لن تتقبل الأمر بسهولة..

- بالطبع لن تتقبل الأمر بسهولة.. ولكن لا فائدة.. حتى لو استخدمت القوة لن تستطيع خنق أمنيته ورغبته بالفرار..

- إذن لا فائدة..

- نعم يا أخي لا فائدة..

- كانت مدينتنا خلف جرف صخري عميق، تكاثرت حولها الأشجار العالية، ونمت أشجار العلّيق فوق تربتها الخصبة.. وكان على من يغادرها أن يجتاز الطريق الضيق الطويل المحفور في الجبل.. وهكذا غادر ابن أخي المدينة.. وذهبت خلفه أودعه حتى الحاجز الصخري.. آه، لو تدري ما رأيت.. كان منظراً لن أنساه في حياتي أبداً..

- خير؟ ماذا رأيت يا عمّ؟

- حالما قطع ابن أخي الحاجز الصخري رأيت كأن شرارة كبيرة انطلقت حوله فاختفى تماماً بسرعة لا تصدق.. اعتقدت أن بئراً انفتح في الأرض وابتلعه. ولكن ما حدث كان يختلف عن توقعاتي.. لقد خرج من دائرة زمننا..

- وكيف عرفت أنه خرج من دائرة الزمن؟

- رأته أمه في الحلم.. أخبرها أنه ضائع، وأنه في مكان لا

يعرف عنه شيئاً وتوسل لها أن تغفر له.. قد تستغرب يا بني هذا، وتتساءل لماذا نهتم بالأحلام هكذا؟ الأحلام جزء مهم في حياتنا، ربما لأننا أحطنا أنفسنا بتلك العزلة التي جعلتنا لا نخرج إلى العالم خارج مدينتنا المنزوية خلف الحاجز الصخري..

- ولكن كيف عرفتم أنه أصبح خارج الزمن؟

- بالطبع كان الحلم هو الذي دلنا على ذلك.. وقد تأكدنا من ذلك فيما بعد..

تحركت الصبية: - آه يا رأسي..

همس حامد: - يبدو أنها استيقظت، ليتها أجّلت هذا الاستيقاظ قليلاً حتى نفهم من والدها بعض أسرار تلك المدينة الغامضة التي يعيشون فيها..

- ابنتي رندا.. أنت بخير يا ابنتي..

- أبي.. كيف جئت إلى هنا؟..

- كنت قلقاً عليك..

- آه يا رأسي.. ليتني أعرف يا أبي..

فتح الباب، ودخلت الطبيبة، وهمست إلى الدكتور حامد بلهفة:

- دكتور حامد.. أنت هنا؟ أيمكن أن ترافقني لترى تلك الحالة الغريبة..

- خير؟

- إنه رجل غريب.. حالته تشبه حالة المريضة هذه..

- ماذا تقولين؟

- أؤكد لك، أتريد أن ترى؟

- بالطبع

اعتذر من الحاضرين: لدينا حالة طارئة سأعود بعد قليل..

- ألا تحب أن تستمع لبقية قصة الشيخ وكيف حضر إلى هنا..

- نعم.. لن أتأخر كثيراً..

كان حفار القبور يحكي بشرود والدكتور حامد يستمع باهتمام.

لقد عثرت عليه في المقبرة أمام غرفتي، كان الدم ينزف من رأسه، اعتقدت أنه أحد الموتى الذين خرجوا من قبورهم، لأن سور المقبرة عال جداً ومزود بالأسلاك الشائكة كما أن الباب كان مغلقاً بإحكام.. وفتشت داخل المقبرة على القبور، فرأيت

السكينة والهدوء يخيم عليها.. كان الرجل يتأوه.. وقد نقلته بنفسي إلى هنا وكنت خائفاً منه..

تساءل حامد:

- غريب.. كيف وصل إلى المقبرة؟..

أجابت الطبيبة:

- إنه سؤال حاولت إلقاءه عليه كثيراً وكانت إجاباته غمغمة وتأوهات غير مفهومة..

- ولماذا ربطت بين حالته وحالة رندا يا دكتورة..

- لأن الإصابة في المكان نفسه، كما أن الوضع الغامض لرندا يشبه الوضع الغامض...، تفضل سندخل إليه الآن:

فتحت باب الغرفة كان المريض شاباً فتياً يتأوّه، وقد بدا عليه الحزن الشديد

همست الطبيبة: - انظر يا دكتور حامد، إنه مصاب في المكان نفسه الذي أصيبت به رندا..

كان المريض يتأوّه: - آه.. يا رأسي.. أين أنا.. يبدو لي المكان غريباً..

- أنت في المستشفى، كانت إصابتك خطيرة؟

- كيف وصلت إلى هنا؟

- إنه سؤال نريد أن نسمع إجابته منك..

- آه يا إلهي، كل ما أتذكره أنني كنت أريد اللحاق برندا.. حبيبتي الصغيرة المغامرة، كيف اختفت من أمامي، وإلى أي زمن ذهبت؟ آه يا إلهي..

- قلت: إن اسمها رندا؟

- نعم..

- أسمعني قصتك.. لم تقل لي ما هو اسمك؟

- اسمي دارم يا سيدي؟ أعمل في الزراعة في بلدنا.. تريد أن تستمع لقصتي؟ إنها قصة متعبة، غريبة، كف حدث وغادرت عالمنا الصغير؟ ولماذا فعلت رندا ما فعلت؟ وكيف وصلت إلى هنا..؟ ومن أنتم؟ أرى ألبستكم غريبة ورغم أنكم لطفاء، إلا أنني أشعر بالقلق من وجودي بينكم..

- ولماذا أنت قلق بوجودك بيننا يا أستاذ (دارم)، أنت في المستشفى، ونحن نقوم بمساعدتك، على الخروج من محنتك... بدا لهما متشنجاً قلقاً.. قالت الطبيبة بصوت خافت:

- ما رأيك لو زودناه بحقنة مضادة للتشنج؟..

- قد ينام طويلاً؟

- بضع ميلمترات فقط..

- لا بأس..

طلبت من الممرضة إحضار الحقنة وتابعت، والدكتور حامد، الحديث مع الشاب الغريب..

- هه.. يا أستاذ دارم، ألن تحكي لنا كيف وصلت إلى المقبرة، وسورها عال وبابها مغلق بإحكام..

- مقبرة؟ أية مقبرة؟

- عثر عليك الحارس ملقى هناك في حالة سيئة..

- آه يا إلهي.. معقول؟

«إنه يضغط على رأسه، كأنه يحاول أن يتذكر»



كان محمود في غرفة (رندا) يتبادل الحديث ووالدها:

- عادت رندا إلى النوم

- لا تقلق عليها ستكون بخير.. ولكن لماذا خرجت من المدينة؟

- بعد اختفاء ابن أخي الغامض ورؤيتنا له في الحلم.. كثر التفكير بالمغامرة للخروج من المدينة المنعزلة واجتمعنا نحن، أكبر الرجال سناً، وقررنا دراسة الوضع الخطير الذي آلت إليه الحياة في المدينة.. جرت بيننا حوارات صاخبة.. قلت لهم:

- اسمعوا يا جماعة.. هدوء من فضلكم.. تقويمنا للوضع يحتاج لتأنٍ وصبر..

- ابن أخي هو الذي أخرج سكان مدينتنا عن طورهم، وبدؤوا يفكرون بالعالم الخارجي..

- أعرف ذلك، ولم يكن في استطاعتي إيقاف ابن أخي..

- نحن نكبرك بسنوات، وقد رغبنا أن تشاركنا اجتماعنا بناءً على إلحاحك.. هه.. ما الذي تفكر فيه لنخرج من هذه الورطة الصعبة التي نعيشها الآن؟

- نستطيع أن نؤكد أن من يخرج من هذه المدينة، لن يستطيع العودة إليها مطلقاً، إن ابن أخي ضائع، لن يعرف طريق العودة، ويعلم الله في أي زمن استقر به المقام الآن..

- قلت: إنك متأكد من أن من يخرج لن يستطيع العودة؟

- نعم.. فهو سينتقل إلى زمن آخر، ولن يعرف الطريق إلى المدينة، هذا ما أكَّده ابن أخي في الحلم.. رأته أمه في الحلم، وهو يحاول العودة بالتفتيش عن المدينة والطريق المؤدية إليها.. وهو يبكي محروراً مقهوراً..

- كأنه شهد عالماً صعباً خارج مدينتنا فحاول العودة؟

- نعم.. هذا ما أؤكده؟

- إذن ما هو رأيك؟ كيف نستطيع الخروج من الأزمة..؟

- بنشر هذه الأحلام التي تؤكد أن من يخرج من المدينة سيضيع إلى الأبد..

- بعض الشبان المغامرين لن تهمهم النتيجة.. وهذا هو الذي يفقدنا السيطرة على الناس..

قلت لهم، وأنا أتنهّد: (يجب أن نحاول.. يجب أن نحاول)

- ونفّذتم ذلك؟ أقصد نشرتم بين الناس أن من يخرج لن يستطيع العودة؟

- نعم..

- وماذا كانت النتيجة؟

- مع الأسف خرج الأمر من بين أيدينا.. كانت ابنتي (رندا) متزوجة من مهندس زراعي له وضعه الهام في مدينتنا، لأنه كان يشرف على زراعة الحقول المحيطة بالمدينة.. أي إنه كان المسؤول عن إمداد سكان المدينة جميعاً بالمواد الغذائية الزراعية..

- هل حدث له حادث؟

- ليس حادثاً بالمعنى المفهوم.. فلقد تشاجر مع رندا لسبب تافه، وخرج من البيت غاضباً ثم اختفى.. اعتقدت رندا أنها قست عليه، فخرجت قلقة متوترة لتفتش عنه.. ولم يسفر بحثها عن شيء، فعادت إلينا تبكي خائفة..

- اعتقدته تخطّى الحواجز خارج المدينة؟

- نعم.. ولكنها عثرت عليه في صالة توزيع الأغذية مريضاً محموماً.. كان يهذي بأشياء غريبة.. كان كأنه يخاطب خيالاً يراه ولا نراه.. ولكننا نسمعه، وكان صوته مألوفاً كان يقول له:

«يجب البحث عن طريقة للعودة، وحين ستتعرّف تلك الطريقة سنصل إليك ونعيدك إلينا.. سببت بلبلة كبيرة في المدينة؟»

دهشنا كثيراً - كان يتحادث مع شبح ابن أخي..

كان يقول: - لا تقلق سأحاول أن أساعدك.. هه؟ خائف؟ في أي زمن أنت؟

وأكمل بعد قليل - حتى الزمن الذي أنت فيه لا نعرف عنه شيئاً؟ يرتدون ثياباً قديمة مع عمامات مزركشة ويتقلدون السيوف؟ هه لا بدّ أنك انتقلت إلى زمن موغل في القدم..

كان يتأمل من أمامه ويبتسم:

ثم قال بعد لحظات وهو يهز رأسه:

«أعدك أنني سأحاول الوصول إليك وإعادتك»

☆ ☆ ☆

وعاد إليه وعيه، ولم يتذكر شيئاً، ممّا حصل له.. هكذا اعتقدنا في البداية، ولكنه بعد أن عادت علاقته مع رندا إلى صفائها، بدأ يعتمد على الشباب الذين يعملون معه في الإشراف على المزارع وصالات المواد الغذائية في المدينة. وفي أحد الأيام، هرعت رندا إليّ تبكي، لقد بحثت عنه في كل مكان فلم تجده..

- اختفى؟

- نعم. ولكنه لم يختفِ طويلاً، فقد عاد بعد أيام، ومعه (ابن أخي) المفقود.. وكانت مفاجأة غريبة لسكان المدينة..

- يعني أنه توصّل لمعرفة سرّ الخروج والعودة؟

- نعم.. وقد ظلّ صامتاً لا يحكي لأحد عن السرّ الذي يحمله.. وقد قصّ ابن أخي قصة عجيبة علينا.. «آه يا عماه.. منذ أن اجتزت الحاجز وشعرت أنني أغوص في هاوية ليس لها قرار، ثم أسقط فوق منطقة عشبية قرب نهر صغير.. وأنا خائف من الجوّ الجديد الذي رأيت نفسي فيه»

- ماذا فعلت حين عدت إلى وعيك؟

«فتحت عيني أتأمل ما حولي من مناظر خلاّبة، وأنا خائف قلق.. حين سمعت صوت ضحكات نسائية، لحظت فتاة جميلة تمشي مع بضعة فتيات يحطن بها وهي تتحادث مع امرأة عجوز..»

«إنها خفيفة الظّل يا خالة.. حين رأتني مكتئبة، دهنت وجهها بالوحل، وبدأت تقلد صوت الحيوانات بطريقة بديعة.. أضحكتني كثيراً وزال الاكتئاب سريعاً..»

- يا ابنتي، حين يرغب والدك بتزويجك لأحد الأمراء، يعني أنه متأكد من أن صهره الجديد يتمتع بميزات هامة، وإلاّ ما قبله زوجاً لك..

- ولكنني أشعر أنني صغيرة على الزواج.. لا أطيق أن أنعزل داخل مكان ضيّق، وأنجب الأطفال، ما أزال أشعر بالرغبة في التحرّر من قيود العلاقات الاجتماعية..

- يمكنك أن تقبلي خطبته لك، ثم تتزوجي بعد عام أو عامين..

- هل يقبل والدي بذلك؟..

- سأحاول أن أنقل إليه رغبتك.. إنه يحبك كثيراً..

- أعلم هذا وهذا ما يعذبني..

ولحظاني ممدداً بين الأعشاب فهرعن نحوي

«تعال إلى هنا.. هه.. إنه يتمدّد بين الأعشاب ويتلصّص على مولاتي»..

- ماذا تقولين؟

قلت: - لم أكن أتلصص، رأيت نفسي فجأة هنا..

- وكيف دخلت حديقة القصر؟ كيف نفدت من بين الحراس الكثيرين الموزعين حولها؟.

- أرجوك يا آنسة، سأشرح لك القصة..

- لا تقسي عليه يجب أن نعرف كيف وصل إلى هنا..

- إنه يرتدي ألبسة غريبة، لست مطمئنة..

- هل أحضر الحراس يا سيدتي..

- لا بأس.. هذا أفضل..

حكيت للأميرة قصتي، بالطبع لم تصدقني، وحضر الحراس وألقوا بي في السجن ولكني تمكنت بصعوبة من الهرب مستغلاً شفقتهم عليّ، لرجلي العرجاء المشوّهة.. وبدأت أحاول العودة إلى هنا.. منتقلاً من مكان إلى مكان بعيداً عن المدن المسكونة بالناس وعن القرى المنتشرة.. كان الزمن الذي قفزت إليه غريباً، فيه المعالم القديمة والقلاع والحصون، والجيوش المدججة بالسلاح، المكون من الدروع المعدنية والسيوف البتارة والرماح الطويلة..

- وكيف عثر عليك (دارم)؟

- لا أدري يا عمّاه، وجدته أمامي فجأة، كان يترنح كمن تلقّى ضربة على رأسه وقد أسعفته وسحبته إلى الكهف المنعزل الذي كنت أقيم فيه.. وحين صحا لم يتردد كثيراً في ضمّي إلى صدره، حيث بدأ يعبث بآلة صغيرة بين يديه، فوجدت نفسي هنا.. وأنا أشعر بصداع فظيع..

- قلت آلة غريبة؟

- نعم.. كان متمكناً من اللعب عليها، وكانت تبرق وتلمع وتصدر أصواتاً موسيقية بديعة..

- في تلك الآلة يكمن السر، لا بد من محادثة دارم ومعرفة ما يفعله..

سأله محمود بلهفة:

- وعرفت السر؟..

- نعم بعد محاولات مضنية، وقد صنع لي بناء على رغبتي جهازاً صغيراً شبيهاً بالجهاز الذي يحمله.. وأكد أنه لن يستخدمه إلاّ في الحالات الطارئة..

- كان جهازاً يلاحق الخارجين من مدينتكم ويعرف الزمن الذي وصلوا إليه؟

- نعم.. وكان باستطاعته إعادتهم إلينا..

- كيف؟ وقد قلت لي: إن مدينتكم تعيش على هامش الزمن، أي إنها لا تعرف التاريخ والسنوات والشهور والأيام..

- لم نكن نعرف زمننا بالضبط، ولكن مؤشرات الجهاز كانت تلاحق الأشخاص الذين يعيشون فيها وتنتقل إليهم؟

- إنه أشبه بلغز..

تأوهت رندا متململة في رقدتها ثم فتحت عينيها مستيقظة..

همس محمود يسأل الشيخ:

- وكيف وصلت (رندا) إلى زمننا؟ ولماذا خرجت من مدينتكم؟

- وقع (دارم) تحت ضغط تجربة جهازه عبر الزمن.. وقد نجح في الذهاب والعودة مراراً كثيرة، وحين عاتبته رندا على غيابه عنها أحياناً، واتهمته بإهمالها واختفاء عاطفته نحوها.. خرج حزيناً من البيت، وقد اعتقدت (رندا) أنه خرج من المدينة إلى زمن آخر.. ودون تفكير خرجت من الحاجز الصخري لتضيع في الزمن..

فتح الباب ودخلت الطبيبة تدفع الشاب الغريب:

- استند عليّ جيداً يا أستاذ (دارم) ستفرح بك (رندا) كثيراً..

صرخت رندا مذهولة فرحة: - دارم.. دارم..

اندفع إليها: - رندا حبيبتي الصغيرة..

- أمعقول يا رب؟ كيف حدث وجئت إلى هنا؟

- سنشرح لك كل شيء..

حكى الدكتور حامد قصة دارم الذي عرف أن (رندا) خرجت من المدينة وقد اعتقدته أنه خارج الزمن.. وحين عاد

دارم من انزوائه فوجئ بها مختفية، عرف زمنها بجهازه، وانتقل إليه.. وكذلك فعل والدها..

كان الشيخ ودارم يحملان أجهزة العودة، وقد فوجئ الدكتور حامد والمهندس محمود والطبيبة أن الثلاثة يتعانقون ويختفون عن أعينهم فجأة..

هل عادوا إلى مدينتهم بهذه السرعة، تلك المدينة المنعزلة خلف ذلك الحاجز الصخري المرتفع؟

أم إن أمراً غريباً حدث لهم؟

هذا ما كان محمود يفكر به وهو يرشف القهوة بصحبة صديقه حامد، والطبيبة التي بدأ نوع من الإعجاب بشخصيتها يؤثر عليه..

دار الفكر

آفاق معرفة متجددة

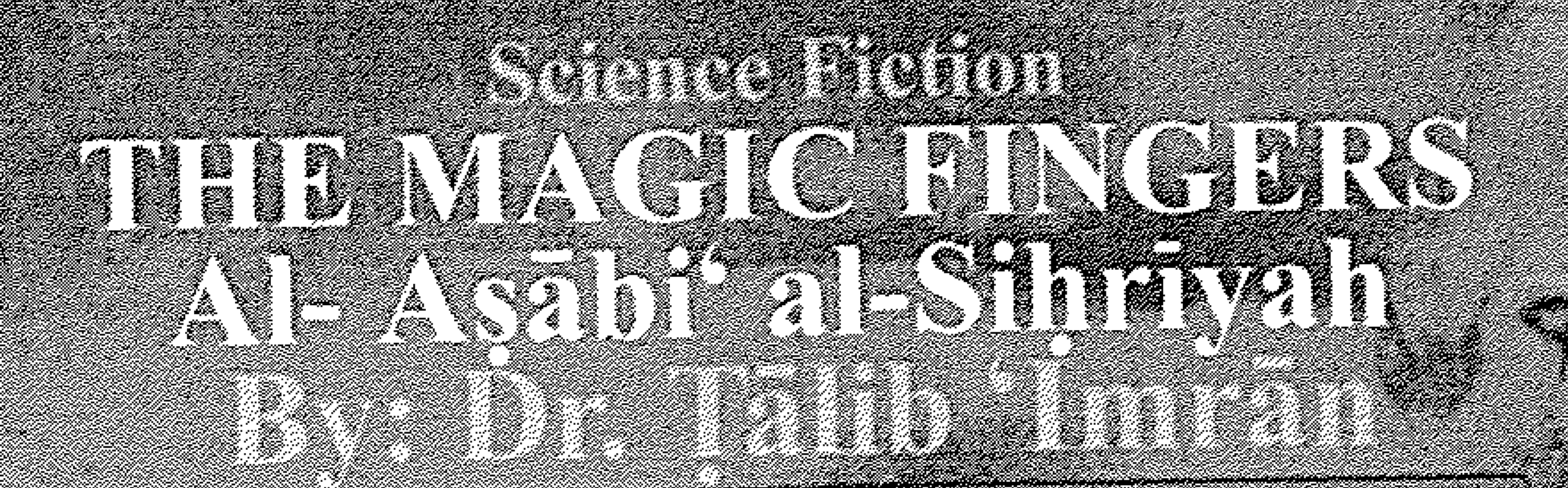
Frankfurter Buchmesse 2004
Guest of Honour 2004: Arab World
العالم العربي ضيف الشرف ٢٠٠٤
نظرة إلى المستقبل

- أسست عام ١٩٥٧م (١٣٧٦هـ).
- **رسالتها:**
  - تزويد المجتمع بفكر يضيء له طريق مستقبل أفضل.
  - كسر احتكارات المعرفة، وترسيخ ثقافة الحوار.
  - تغذية شعلة الفكر بوقود التجديد المستمر.
  - مدّ الجسور المباشرة مع القارئ لتحقيق التفاعل الثقافي.
  - احترام حقوق الملكية الفكرية، والدعوة إلى احترامها.
- **منهاجها:**
  - تنطلق من التراث جذوراً تؤسس عليها، وتبني فوقها دون أن تقف عندها، وتطوف حولها.
  - تختار منشوراتها بمعايير الإبداع، والعلم، والحاجة، والمستقبل، وتنبذ التقليد والتكرار وما فات أوانه.
  - تعتني بثقافة الكبار، وترنو لتأهيل الصغار لبناء مجتمع قارئ.
  - تخضع جميع أعمالها لتنقيح علمي وتربوي ولغوي وفق دليل ومنهج خاص بها.
  - تعدّ خططها وبرامجها للنشر، وتعلن عنها: شهرياً، وفصلياً، وسنوياً، ولآماد أطول.
  - تستعين بنخبة من المفكرين إضافة إلى أجهزتها الخاصة للتحرير، والأبحاث، والترجمة.
- **خدماتها ونشاطاتها:**
  - نادي القارئ النهم (الأول من نوعه في الوطن العربي)
  - تمنح سنوياً جوائزها للإبداع والنقد الأدبي، وتكرم مؤلفيها وقراءها.
- **ريادة في مجال النشر الألكتروني:**
  - أول موقع متجدد بالعربية لناشر عربيٍ على الإنترنت: **www.fikr.com**
  - إسهام فعّال في موقع (فرات) لتجارة الكتب والبرامج الألكترونية: **www.furat.com**
  - موقع تفاعلي رائد للأطفال: عالم زمزم: **www.zamzamworld.com**
  - موقع الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: **www.bouti.com**
  - موقع الدكتور وهبة الزحيلي: **www.zuhayli.com**
  - موقع اللجنة العربية لحماية الملكية الفكرية: **www.arabpip.com**
- **حازت على جائزة أفضل ناشر عربي للعلم ٢٠٠٢، من الهيئة المصرية العامة للكتاب.**
- **منشوراتها:** تجاوزت حتى عام ٢٠٠٣ (١٧٥٠) عنواناً، تغطي سائر فروع المعرفة.

دار الفكر

دمشق - سورية - ص.ب: ٩٦٢ - هاتف: ٢٢١١١٦٦ - فاكس: ٢٢٣٩٧١٦

e-mail: fikr@fikr.com - http://www.fikr.com/



سلسلة قصص وروايات شيقة، بقلم أحد أهم رواد الخيال العلمي العرب، الدكتور طالب عمران، تأخذ القارئ إلى عوالم، يمتزج فيها الواقع بالخيال، والعلم بالقوى الخفيّة للإنسان، والمعقول بغير المألوف؛ وذلك لاستخلاص فوائد علميّة وأدبيّة وتربوية، عبر أحداث مثيرة ولغة ممتعة وحبكة ذكيَّة، تدفع القارئ إلى التفكير والتحليق مع الكاتب.

والمؤلف ينطلق في بناء قصصه ورواياته العلمية الخياليّة على أسس واقعيّة لها علاقة بالمكان، ومع ظواهر مدهشة في حياتنا يفسِّرها العلم، وتوقعات مبنيّة على المنطق العلمي لمستقبل الإنسان على هذا الكوكب.. فيجعل كل ذلك منها مادة قيمة، تعود بالنفع والمتعة على القارئ..

